العلاقات السياسية الأسبانية الإسرائيلية وأثرها على القضية الفلسطينية (١٩٤٨-٢٠١١)

د/أماني صلاح الدين سليمان

باحث زميل بمركز دراسات الشرق الأوسط، كلية الدراسات الدولية، جامعة صون يات-سن، الصين

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر، معهد دراسات البحر المتوسط، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية

مقدمة:

تعد أسبانيا احدى الدول الأوروبية الأقرب الى العالم العربي الذي تتقاطع معه من خلال الدائرة المتوسطية جغرافيا ومن خلال قرون الإرث العربي الإسلامي في الأندلس تاريخيا. وعادة ما يشعر العرب والأسبان على حد سواء بروابط إقليمية وثقافية جعلت من أسبانيا حلقة وصل ثقافي ودبلوماسي وتاريخي بين كل من العرب وأوروبا.

يستعرض هذا البحث تاريخ العلاقات السياسية بين أسبانيا واسرائيل وتأثير تلك العلاقات سلبا وايجابا على دعم أو عرقلة حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعه وكفاحه الممتد من أجل تأسيس دولته المستقلة؛ حيث مرت العلاقات السياسية الأسبانية الإسرائيلية بمنحنيات عدة صعودا وهبوطا طيلة عقود أثرت وتأثرت بمسار القضية الفلسطينية. فقد دأبت أسبانيا في أحيان كثيرةعلى تبني مواقف سياسية أو اقتصادية أو ثقافية تجاه دولة اسرائيل بناء على تطورات القضية الفلسطينية، بينما تجاهلت أسبانيا في ظروف أخرى ذلك الصراع المرير ووطدت علاقاتها مع اسرائيل متجاهلة الاحتلال والاستيطان وجرائم اسرائيل ضد فلسطين أرضا وشعبا، واستجابة لضغوط محلية أو أوروبية أو دولية دفعت الإدارة الأسبانية في أحيان كثيرة للتعاون مع دولة الاحتلال.

لذا يناقش هذا البحث تلك المواقف الأسبانية الداعمة أو المجحفة تجاه القضية الفلسطينية في ضوء الظروف السياسية المحلية في أسبانيا وكذلك تفاعلات أسبانيا وأولوياتها المحلية ومصالحها ضمن مجالها الأوروبي والدولي والتي تؤثر على آلية اتخاذ القرار وتطورات العلاقات الثنائية مع اسرائيل. كما يتطرق البحث أيضا الى الأثر الناجم عن الدعم الأسباني للحقوق الفلسطينية أو غيابه على تطورات الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في المحافل الدولية والدبلوماسية.

العلاقات الأسبانية الإسرائيلية في عهد الجنرال فرانكو (١٩٤٨- ١٩٧٥)

أصبح الجنرال فرانسيسكو فرانكو[١] Francisco Franco (١٩٣٩-١٩٧٥) حاكما مطلقا على أسبانيا في أعقاب انتصاره على خصومه الجمهوريين بعد الحرب الأهلية المريرة التي شهدتها أسبانيا بين أعوام ١٩٣٦-١٩٣٩. وأدت هزيمة التيار الجمهوري بفرقه الليبرالية واليسارية والأناركية إلى تشتيت المعارضة الأسبانية إلى خارج البلاد وإسكات أصوات المعارضين في الداخل بقمع وعنف غير مسبوق من قبل حكومة فرانكو والتي لم تكن تقبل أي معارضة لسياسات الجنرال سواء في الإعلام أو الجامعات أو غيرها من منابر الرأي التي نشطت في أوروبا وقادت الرأي العام آنذاك. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية، طلب الجنرال فرانكو من الحلفاء احتفاظ أسبانيا بمستعمراتها في المغرب العربي وغرب أفريقيا إلا أن الحلفاء رفضوا تلبية هذه المطالب وتشككوا في نوايا الجنرال فرانكو بالنظر الى الدعم الذي تلقاه من هتلر وموسوليني أثناء الحرب الأهلية الأسبانية؛ مما جعله يفضل إعلان حياد أسبانيا في الحرب العالمية الثانية متعللا بتردي الأحوال العسكرية والاقتصادية لبلاده التي شهدت بالفعل هدما شبه كامل للبنية التحتية بفعل الحرب الأهلية الضروس التي خاضتها في نهاية الثلاثينيات أعقبتها أزمة اقتصادية طاحنة عانت منها اوروبا كلها بفعل الحرب وعانت منها أسبانيا تحديدا بسبب الحرب الأهلية ثم الحصار والاستبعاد الدولي واقصائها عن خطط إعادة الإعمار في أوروبا ما

[١] فرانسيسكو فرانكو (١٨٩٢-١٩٧٥) الحاكم العام لأسبانيا بين أعوام (١٩٣٩-١٩٧٥) ولد في أسبانيا وتوفي ودفن بالعاصمة مدريد. كان أصغر من ترقى إلى رتبة جنرال في الجيوش الأوروبية حيث نال الترقية وعمره ٣٣ عاما أثناء الحكم الفاشي لأسبانيا الذي قاده ميجيل بريمو دي ريفيرا حتى اعلان الجمهورية الأسبانية الثانية عام ١٩٣١. قضى معظم سنوات خدمته العسكرية في شمال أفريقيا بالمغرب وشارك في حرب الريف وأصيب عدة مرات. وفي عام ١٩٣٦ قاد فرانكو مع عدة جنرالات بالجيش الأسباني انقلابا عسكريا ضد النظام الجمهوري في بلاده مما أدى الى نشوب حرب أهلية مريرة قاد فرانكو خلالها التيار القومي المحافظ الذي نادى بعودة الملكية وسحق الحركات الانفصالية والقومية في كاتالونيا والباسك وكذلك اعادة سيطرة الكنيسة الأسبانية الى ما كانت عليه قبل الجمهورية الثانية. وأثناء الحرب تلقى فرانكو دعما اقتصاديا وعسكريا من حكومات هتلر وموسوليني. وانتهت الحرب بانتصار فرانكو والتيار القومي وتنصيب فرانكو نفسه حاكما عاما على أسبانيا حيث لم يتخذ لقب ملك أو رئيس أو خلافه وفضل ألقابا عامة مثل الزعيم والقائد والحاكم العام إلى أن وافته المنية في عام ١٩٧٥ ليتولى الحكم بعده الملك خوان كارلوس وتبدأ مرحلة التحول الديمقراطي في أسبانيا.

بعد الحرب – ومنها مشروع مارشال- نظرا لتعاون فرانكو كما أسلفنا مع إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية.[١]

وتركت الحرب الأهلية الأسبانية ظلا ثقيلا طغى على موقف يهود العالم تجاه فرانكو وكذلك على موقفه تجاههم؛ فأثناء الحرب الأهلية الأسبانية هرع الآلاف من اليهود اليساريين المؤمنين بوحدة الفكر والنضال الاشتراكي والجمهوري من كافة أنحاء أوروبا وخارجها لمساندة الجمهوريين الأسبان – ومعظمهم ينتمون إلى اليسار- ضد فرانكو والتيار المحافظ القومي مما جعل الصحافة الأسبانية الموالية للجنرال تطلق نظرية المؤامرة اليهودية-الكاتالونية على أسبانيا، وظلت الصحف الأسبانية لعقود -وحتى مطلع السبعينيات- تكتب عن التحالف الشرير بين "الانفصاليين الكتالونيين" و"الخونة اليهود" لتدمير وحدة أسبانيا وقيمها وكنيستها.[٢] أما اليهود فقد رأوا في فرانكو فظاعات الفاشية الأوروبية في الثلاثينيات، وأصبح يمثل بالنسبة لهم الضلع الثالث في مسلسل الفاشية مع هتلر وموسوليني ليس إلا. وظلت الصحافة الإسرائيلية والصحف الغربية التي يديرها أو يمتلكها يهود تذكر العالم بأن فرانكو – ولو كان عدوا للشيوعية- فهو أيضا حاكم انتهازي تحالف في وقت دقيق تحالفا لا أخلاقيا مع الثنائي الفاشي (هتلر وموسوليني) بل وتسبب مثلهم في اشعال الحرب العالمية الثانية ثم تخلى عنهما حين أدرك أن العالم الحر سوف ينتصر في المعركة، وأن فرانكو أعلن حياده في الحرب خوفا من بطش الحلفاء وليس إيمانا منه بعدالة حربهم ضد دول المحور.

وعند إعلان خطة تقسيم فلسطين التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ بحسب القرار الأممي رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ لم تكن أسبانيا آنذاك عضوا بالمنظمة الدولية الوليدة. حيث أن القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وانجلترا وفرنسا رأت أن فرانكو حاكم فاشي لا تستحق أسبانيا تحت إدارته شرف الانضمام الى المنظمة الأممية الجديدة التي ولدت من رحم الحرب العالمية الثانية، كما أنه اتهم بمساعدة هتلر وموسوليني وقادة دول المحور خلال سني الحرب بشكل سري غير معلن وسهل لهم شراء

[1] Payne, S. G. Franco and Hitler: Spain, Germany, and World War II, Yale University Press, 2008

[2] Berdichevsky, N. Spain and Israel - A Tale of Many Turns, New English Review, Feb 2009, https://www.newenglishreview.org/Norman_Berdichevsky/Spain_and_Israel_-_A_Tale_of_Many_Turns/ , accessed 17/4/2019

أسلحة ومعدات حربية ومؤن غذائية رغم إعلانه حياد أسبانيا في الحرب العالمية الثانية. لذا رفضت الدول الكبرى ضم أسبانيا إلى عضوية الأمم المتحدة عند تأسيسها في عام ١٩٤٥ حيث كانت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها واستطاع المنتصرون املاء شروطهم على العالم كافة.[١]

وفي الوقت نفسه الذي شهد ازدراء واستبعاد أسبانيا من المجتمع الدولي الدبلوماسي؛ كانت بريطانيا والدول الكبرى تتأهب لتقسيم فلسطين وإعلان دولة جديدة تلبي للصهيونية هدفها الرئيس ألا وهو تأسيس دولة مستقلة ووطن قومي لليهود. كانت الظروف العالمية مواتية في ظل انسحاب الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا من أدوار الاستعمار والاحتلال والانتداب التي مارستها على أرض الدول المستعمرة في أفريقيا وآسيا منذ عقود. وما إن أقرت الأمم المتحدة خطة تقسيم فلسطين حتى هرعت الميليشات اليهودية المسلحة في الأرض المحتلة لإعلان دولة اسرائيل وهرعت الدول الكبرى شرقا وغربا للاعتراف بها وقبول الواقع الجديد. أما أسبانيا فاتخذت موقفا مخالفا رغم العزلة الدولية المفروضة عليها؛ حيث رفض فرانكو الاعتراف بدولة اسرائيل. والحقيقة أن الإدارة الإسرائيلية راسلت وطلبت الدعم رسميا من معظم دول العالم مطالبة الجميع الاعتراف بالدولة الوليدة ؛ إلا أن الإدارة الإسرائيلية لم ترسل برقيات مطالبة الاعتراف إلى الدول التي كانت تعلم علم اليقين أنها لن تعترف بها أو بمشروعية تأسيسها ألا وهي الدول العربية كافة، وكذلك ألمانيا التي قاطعتها اسرائيل بسبب التطهير العرقي والإبادة الجماعية التي مارسها الألمان ضد يهود أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية، وأخيرا أسبانيا حيث أن قنوات الاتصال الدبلوماسية غير الرسمية أكدت أن أسبانيا لن تعترف بالدولة الصهيونية الوليدة نظرا لغضب فرانكو من المشاركة اليهودية الكثيفة في صفوف الجمهوريين الأسبان أثناء الحرب الأهلية.[٢]

ويرى العديد من المتخصصين في التاريخ الأسباني المعاصر أن فرانكو كان ينظر بعين الريبة الى الدولة الصهيونية الوليدة لما تمثله من طبيعة اشتراكية ولقربها من الاتحاد السوفيتي بشكل تشابه –من وجهة نظر هؤلاء المتخصصين- مع طبيعة النظام الجمهوري الثوري الأسباني الذي حاربه وقهره

[1]The Spanish Question, UN Security Council resolution no.4 issued on 29/4/1946

[2] Olan, G. Franco's Spain and the Jewish Rescue Effort During World War Two, Unpublished PhD Thesis, Duke University, 2013, p 138

فرانكو، أي أن معاداة فرانكو لإسرائيل منذ تأسيسها لم تكن لأسباب معاداة السامية أو كراهية اليهود وانما لشعوره بأن اسرائيل دولة اشتراكية الاقتصاد يقودها الكيبوتزات التعاونية ويقوم على تأسيسها وادارتها شباب يرتبطون بعلاقات وثيقة مع الشيوعيين خاصة السوفييت وهو المنحى نفسه الذي اتبعه الاشتراكيون والشيوعيون والأناركيون في الجمهورية الأسبانية الثانية خلال مطلع الثلاثينيات.[1] اذا فتشكك فرانكو في دولة اسرائيل وعدم رغبته في الاعتراف بها أو التعاون معها يرجع لرفضه ومحاربته للأنظمة الإشتراكية ولعدائه السافر والمعلن للاتحاد السوفيتي وحلفائه. ورغم أن بريطانيا هي المحرك الأساسي وراء تمكين اليهود من أرض فلسطين، إلا أن التاريخ يذكر أن أولى الدول اعترافا باسرائيل عقب ساعات من إعلانها كان الاتحاد السوفيتي.

ولعبت اسرائيل مع بولندا ودول أخرى دورا حاسما في تأخير انضمام أسبانيا إلى عضوية الأمم المتحدة، وقادت بولندا واسرائيل معا الحملة الدعائية والدبلوماسية داخل أروقة المنظمة الوليدة لرفض انضمام أسبانيا إليها مما أدى إلى ظهور ما يسمى بالمشكلة الأسبانية The Spanish Question والتي امتدت لعشرة أعوام متصلة هي عمر التوتر الكبير الذي نشب بفعل الرفض المتكرر لعضوية أسبانيا بالأمم المتحدة بين منذ تأسيس المنظمة عام ١٩٤٥. وحدثت أشهر هذه المواجهات الدبلوماسية خلال جلسة عاصفة للجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٦ مايو ١٩٤٦؛ حيث تقدمت عدد من الدول اللاتينية بقيادة البرازيل ومشاركة البيرو وكولومبيا وبوليفيا بتقديم مشروع قرار للاعتراف بالحكومة الأسبانية وضم أسبانيا الى المنظمة إلا أن أبا إيبان -ممثل الوكالة اليهودية في فريق عمل ملف فلسطين [2]في الأمم المتحدة- ألقى خطابا طويلا أشار فيه الى تحالف ألمانيا النازية وايطاليا الفاشية مع فرانكو حتى تمكن من

[1] Alonso, C. La Evolución De La Opinión Española Con Relaciónes a Israel, El Aantisemitismo Y El Conflicto Árabeisraelo-Palestino, In Raanan Rein (Ed) Israel-España, Veinte Años, Sevilla: Tres Culturas, 2007, pp: 148-149

[2] في عام ١٩٤٦ وقبل إعلان خطة تقسيم فلسطين شكلت الأمم المتحدة مجموعة عمل مهمتها تسوية مشكلة فلسطين والوصول الى حل لإنهاء الانتداب البريطاني وضم هذا الفريق عددا من اليهود على رأسهم أبا ايبان (١٩١٥-٢٠٠٢) والذي كان ضابطا بالجيش البريطاني وهو أحد اللاعبين الرئيسيين في كتابة وصياغة خطة التقسيم عام ١٩٤٧ وفي انضمام اسرائيل الى الأمم المتحدة عام ١٩٤٩. وعرف عن أبا إيبان قدراته البلاغية ودفاعه المستميت عن الأهداف الصهيونية في الأرض المحتلة. وخدم سفيرا لإسرائيل في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٠ وحتى عام ١٩٥٩ وتولى وزارة الخارجية الإسرائيلية (١٩٦٦-١٩٧٤)

هزيمة خصومه في الحرب الأهلية واستمرار هذا التحالف أثناء الحرب العالمية الثانية والتي ارتكبت خلالها ألمانيا فظائع ومجازر ضد اليهود. وحذر إيبان من انضمام أسبانيا بقيادة فرانكو الى الأمم المتحدة حيث أن ذلك يعني قبول الصلح مع نظام يمثل كل فظاعات الحرب العالمية الثانية وانتهت الجلسة برفض مشروع القراروإستمرار حرمان أسبانيا من عضوية الأمم المتحدة. وحاولت اسرائيل في ١٩٤٧ فتح قناة اتصال مع أسبانيا عن طريق ممثلي البلدين في تركيا واقترحت اسرائيل الاعتراف المتبادل بين الحكومتين وتبادل البعثات الدبلوماسية مع تعويض أسبانيا عن بعض الخسائر التي لحقت بقنصليتها في القدس وضمان حقوق الحجاج الكاثوليك الأسبان في الأراضي المقدسة وهو ما سيترتب عليه تطبيع العلاقات بين البلدين وبالتالي تغيير موقف اسرائيل المعارض لعضوية أسبانيا في الأمم المتحدة والضغوط الدولية التي تحشدها ضد نظام فرانكو. إلا أن الجانب الأسباني رفض العرض بأكمله وصمم على مواصلة الحشد الدولي العكسي لصالحه دون الخضوع للشروط الإسرائيلية.[1]

وعلى الجانب الآخر، حاول بعض الدبلوماسيين الإسرائيليين اقناع حكومتهم بأن الوقت قد حان للتقارب مع أسبانيا وتوثيق الصلات الدبلوماسية معها. وكتب ابراهام داروم مدير إدارة أمريكا اللاتينية في الخارجية الإسرائيلية إلى وزير خارجيته موشي شاريت مذكرة تفصيلية اقترح خلالها التغاضي عن الحاضر والماضي الفاشي لأسبانيا حيث أن اسرائيل على صلات وثيقة بدول أبعد ما تكون عن الديمقراطية ومنها الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا والأرجنتين الذين لا تختلف قياداتهم كثيرا عن فرانكو في قمع المعارضة، كما أشارت المذكرة إلى خطورة التقارب المستمر والمتسارع بين فرانكو والدول العربية خاصة مع انخفاض حدة الغضب الدولي تجاه أسبانيا وهو ما يعني أن تكون اسرائيل وحدها في المنطقة خصما لأسبانيا وبناء على أسباب تتعلق بالماضي. إلا أن الحكومة الإسرائيلية أغلقت باب المناقشة وأبلغت الخارجية بكل مستوياتها أن العلاقات مع أسبانيا أمر مرفوض وغير محتمل بغض النظر عن طبيعة النظام الأسباني غير الديمقراطية؛ حيث أن هذا الرفض مبني على دور أسبانيا في دعم نظام هتلر وبالتالي مسئوليتها غير المباشرة عن المحارق والإبادة الجماعية

[1] Barrio, A. M. La Normalizacion de Relaciones Diplomaticas Entre Espana E Israel, Revista de estudios Internacionales, Vol 7. Núm. 4. Octubre-diciembre 1986, P 1134

ليهود أوروبا التي لم تنسها إسرائيل بعد ومازالت حية أمام أعين الناخب الإسرائيلي خاصة من ذوي الأصول الأوروبية.[١]

ورغم محاولة فرانكو وأبواق دعاياته التقليل من أهمية عضوية الأمم المتحدة والإيعاز الى الشعب الأسباني بأن الشيوعيين والاتحاد السوفيتي وكذلك الإمبريالية الغربية المغرورة يقفون وراء عرقلة انضمام أسبانيا الى الأمم المتحدة، نجد أن مسئولي الدعاية السياسية الأسبان قد حرصوا في عام ١٩٤٩ على اصدار كتيب من حوالي خمسين صفحة بلغات عدة يشرح الدور الذي قامت به أسبانيا لنجدة اليهود الأوروبيين من براثن الاضطهاد النازي والإبادة الجماعية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.[٢] وهو ما يؤكد ثقل الدور الذي لعبته اسرائيل واستخدام مأساة اليهود لعرقلة انضمام أسبانيا الى المنظمة وهو ما أدى إلى حرص وزارة الخارجية الأسبانية على اصدار الكتيب المذكور وترجمته الى لغات مختلفة والعمل على نشره في منابر عالمية سياسية ودبلوماسية وثقافية متنوعة.

واحتفظ فرانكو بعلاقاته الوثيقة بالدول العربية التي مثلت بالنسبة له مصدرا للنفط، وسوقا لمنتجاته وكذلك كعدد كبير من الأصوات المضمونة التي ستصطف معه في المحافل الدولية خاصة في محاولاته المضنية للانضمام الى الأمم المتحدة وهيئاتها ووكالاتها.[٣]

ولم تستطع أسبانيا كسر الحصار المفروض عليها من الأسرة الدولية حتى عام ١٩٥٥ عندما منحت العضوية بالأمم المتحدة اثر تدخل أمريكي صريح كان ثمنه تعاون عسكري بري وبحري بدأ في ١٩٥٣ وأخضع فرانكو للأولويات العسكرية والسياسية الأمريكية بشكل كامل وضمن للمعسكر الرأسمالي بقيادة

[1] Abadi, J. The road to Israeli-Spanish rapprochement, in Efraim Karsh (Ed.) Israel the first hundred years Vol 4 (Israel in the International Arena), Frank Cass Publishing, London, 2004, PP:177-178

[2] Rein, R. Diplomacy, Propaganda, and Humanitarian Gestures: Francoist Spain and Egyptian Jews, 1956-1968, Iberoamerican, Vol 23, 2006, P22

[3] Abadi, op. cit. p.177

الولايات المتحدة السيطرة الكاملة على المدخل الغربي للبحر المتوسط في ظل اشتعال الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي.[١]

ويرى العديد من المؤرخين الأسبان أن جهودا كبيرة قد بذلت في الأربعينيات والخمسينيات لتأسيس وتدعيم روابط الصداقة بين أسبانيا وجماعات الضغط اليهودية السياسية والاقتصادية في الولايات المتحدة حيث أدرك فرانكو وصناع السياسة الخارجية في حكومته أن التعاون العسكري والاقتصادي يلزمه قرار سياسي أمريكي يجب ألا يلقى معارضة من دوائر النفوذ اليهودية في الولايات المتحدة.[٢] ورغم التحفظات الإسرائيلية واليهودية على فرانكو وحكومته، الا أن المعسكر الغربي لم يكن قد نسى بعد أن فرانكو بانقلابه العسكري عام ١٩٣٦ وانتصاره في الحرب الأهلية قد قضى على حكومة الجمهورية الأسبانية الثانية التي سيطر اليساريون على مقدراتها قرابة ست سنوات تعاظم خلالها النفوذ السوفيتي في أسبانيا. لذا قرر الأمريكيون التغاضي عن ماضي فرانكو في مساندة النازية وحاضره الفاشي غير الديمقراطي وقبلوا التعاون معه حيث أن البديل لحكم أسبانيا هو تلك القوى اليسارية التي ستجعل الغلبة على حدود أوروبا الغربية للمعسكر الشيوعي ولم تكن الولايات المتحدة لتسمح بالمزيد من الحصار والتدهور الاقتصادي في أسبانيا مما قد يؤدي الى سقوط فرانكو وعودة الشيوعيين الى الحكم، أو ربما يحدث الأخطر وهو أن يضطر فرانكو نفسه تحت وطأة الأزمة الاقتصادية الى التحالف مع المعسكر الشرقي ويضع يده في يد أعدائه السوفييت للخروج ببلاده من الأزمة الإقتصادية.[٣]

وبشكل عام فإن التقارب مع الولايات المتحدة عقب اتفاقات ١٩٥٣ العسكرية والاقتصادية التي مهدت لعودة أسبانيا للساحة الدولية؛ قد أحدث تحولات كبرى في الخطاب السياسي الرسمي والإعلامي في أسبانيا. فبينما دأبت الصحف الأسبانية منذ عام ١٩٣٩ على انتقاد كل من الشيوعية الشرقية والإمبريالية الغربية؛ نجد أن هذه اللهجة ضد المعسكر الغربي قد خفتت كثيرا وهو ما بدا واضحا في التأييد الأولي لمصر خلال العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦

[1] Soliman, A. The Spanish military and democratic transition (1975-1982) in Soliman and Coskun (Ed.) Guardians or oppressors: Civil military relations and democratization in the Mediterranean region, Cambridge Scholars publishing, London, 2015, PP: 27-29

[2] Barrio, op. cit. pp: 1133-1134

[3] Soliman, op. cit. p. 30

والاشادة بقرار تأميم قناة السويس ثم الانسحاب التدريجي من هذا الموقف والتوقف التام عن اتهام الغرب بالطمع في ثروات الشعوب الراغبة في العدالة والتنمية المتكافئة. فقد حرصت أسبانيا فرانكو على التوقف عن كيل الاتهامات لعرابتها الجديدة الولايات المتحدة وحتى لفرنسا وانجلترا باعتبار أن الكل قد أصبح الآن ضمن معسكر واحد تقوده واشنطن في مواجهة موسكو.[١]

وبينما كانت اسرائيل تقوي علاقاتها بدول أوروبية مختلفة منها ألمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا، انعقد في العاصمة الفرنسية باريس في الخامس والعشرين والسادس من عشرين من مارس ١٩٦١ مؤتمر العفو الشامل في غرب أوروبا والذي نادى بالإفراج الفوري عن كل سجناء ومعتقلي الرأي والسياسة في غرب أوروبا وخاصة أسبانيا. وسارعت الصحف الأسبانية وعلى رأسها صحيفة أريبا Arriba التابعة للنظام الحاكم في اتهام قيادات المؤتمر بأنهم مدعومون من اسرائيل وأنهم مجرد امتداد للحقد اليهودي على أسبانيا. وخصت الصحيفة بالذكر السيدة السا تريوليه وهي يهودية فرنسية روسية الأصل – بحسب الصحيفة- وكذلك أعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي جومبول ولازارف وكلاهما يهودي الديانة أيضا. أي أن الصحف الأسبانية عمدت إلى اتهام المؤتمر بكونه أداة جديدة يستخدمها اليهود والشيوعيون لإثارة المجتمع الدولى ضد أسبانيا. وشهد العام نفسه القاء القبض على عدد من عملاء الموساد في أسبانيا ممن تسللوا الى البلاد في محاولة للقبض على بعض القيادات النازية التي اتخذت أسبانيا مخبأ لها في أعقاب هزيمة ألمانيا في الحرب. وأجرى رئيس الوزراء الإسرائيلي بن جوريون اتصالا هاتفيا مباشرة بفرانكو طلب فيه الإفراج عن عناصر الموساد، إلا أن فرانكو لم يطلق سراح إلا عنصرا منهم فقط بينما تمت محاكمة وسجن الباقين في السجون الأسبانية.[٢]

وخلال عقدي الخمسينيات والستينيات حاولت أسبانيا تقديم نفسها للدول والحكومات العربية كدولة صديقة رغم التوتر السياسي الناشيء عن محاولات استقلال المملكة المغربية، وقدمت أسبانيا برهانا قويا على تلك الصداقة وهو عدم الاعتراف باسرائيل رغم الضغوط الغربية، مما أدى الى فتح الأسواق العربية على مصراعيها أمام المنتجات الأسبانية في وقت كانت أسبانيا تعاني فيه أزمة اقتصادية خانقة وتأفف كبير من المجتمع الدولي غربا وشرقا على حد سواء. وفي الوقت نفسه حرصت أسبانيا على استقبال معارض فنية وعروض

[1] Rein, op. cit. pp:23-25
[2] Abadi, op. cit. PP: 179-181

متحفية وفعاليات ثقافية تحتفي بالتاريخ العبري حتى تنفي عن نفسها شبهة معاداة السامية أو كراهية اليهود وتركز فقط على المباديء الأخلاقية والمصالح الاقتصادية في رفض التطبيع مع اسرائيل. وتقدم على رأس هذه المشروعات تأسيس مركز ثقافي للاهتمام بالثقافة الأسبانية اليهودية أو السفاردية والتاريخ اليهودي في أسبانيا خلال العصور الوسطى في عهد الحكم الإسلامي بالأندلس. وظلت الخارجية الأسبانية معترضة بشدة على تنفيذ المشروع منذ طرحه في عام ١٩٥٨ تحسبا لتوتر في العلاقات مع الدول العربية. ولم يتم تأسيس وافتتاح المركز إلا في شهر مارس عام ١٩٦٤ في مدينة توليدو والتي تعد أحد المعاقل التاريخية ليهود الأندلس؛ وأعلن المركز أن نشاطه يقتصر على دراسة الآثار والترجمة والمخطوطات القديمة والتراث الموسيقى لليهود الأندلسيين. إلا أن مجلس إدارة ذلك المعهد حديث التأسيس ضم بين صفوفه أستاذا اسرائيليا متخصصا في التاريخ اليهودي الوسيط من جامعة القدس، وعضوا آخر ممثلا عن المجلس اليهودي الشرقي أو السفاردي بالإضافة الى رئيس الطائفة اليهودية في مدريد.[١]

وفي السادس والعشرين من يناير عام ١٩٦٧ وقبل شهور قليلة من اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة، كتبت صحيفة Ya Diraio الأسبانية واسعة الانتشار مقالا مطولا حثت فيه القائد العام الجنرال فرانكو على الاعتراف بإسرائيل وتطبيع العلاقات معها. وكان وزير الإعلام والسياحة الأسباني مانويل فراجا Manuel Fraga آنذاك في زيارة رسمية لبيروت فسارع إلى عقد مؤتمر صحفي قال فيه صراحة أن أسبانيا لم ولن تعترف بإسرائيل ولن تقبل تطبيع العلاقات معها رغم أي ضغوط محلية أو دولية.[٢]

وعندما استطاعت اسرائيل تحقيق انتصارها العسكري الأكبر في يونيو ١٩٦٧ ارتفعت أصوات عدة في أسبانيا تناقش وتدعم ضرورة تغيير الموقف الأسباني الرسمي الداعم لوجهات النظر والمطالب العربية فيما يخص الصراع مع اسرائيل. بل وبدأ بعض الصحفيين الأسبان مناشدة فرانكو اعادة النظر في أمر الاعتراف باسرائيل وتطبيع العلاقات معها. والحقيقة أن اسرائيل كانت قد نجحت من خلال الجهود الدبلوماسية والإعلامية باقناع العالم الغربي بأنها كانت في حالة دفاع عن النفس وأن العرب وبخاصة مصر هم من اضطروها للدفاع عن مصالحها عسكريا وهو ما أدى الى قيام حرب يونيو ١٩٦٧. ومن هنا بدأت

[1] Barrio, op. cit. p. 1136
[2] Barrio, op. cit. p.1137

بعض الأصوات تطالب بالاقتراب من اسرائيل باعتبارها دولة غير معتدية ولكن أيضا باعتبارها دولة قوية يمكن لأسبانيا تحقيق مكاسب على الساحة الدولية والاقليمية ان اتخذتها- أي اسرائيل- حليفا وصديقا.[1]

ومن الجدير بالذكر أن أسبانيا قادت جهودا دبلوماسية حثيثة لتهجير يهود العالم العربي إلى دول أخرى في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧. وبينما يؤكد الدبلوماسيون والمؤرخون الأسبان على أن تلك الجهود قد أنقذت أرواح الآلاف من اليهود المصريين وغيرهم من الجنسيات العربية ممن كانوا يعانون استهدافا وتضييقا عربيا شعبيا ورسميا– على حد زعم هؤلاء المؤرخين- وكانوا يرغبون وأسرهم في الخروج من الدول العربية الى أوروبا أو الى اسرائيل، يؤكد العديد من المؤرخين الإسرائيليين على أن تلك الجهود كانت محدودة وأن اليهود المستفيدين من هذه الجهود أقل عددا مما تروج له الخارجية الأسبانية خاصة وأن هؤلاء النازحين قد تم منحهم جوازات سفر أسبانية تنتهي صلاحيتها بعد عامين فقط مع تعهدهم بعدم الهجرة الى اسرائيل خلال السنوات التالية للتهجير من العالم العربي وذلك تحسبا لغضب الدول العربية من حكومة أسبانيا. كما يرى بعض المؤرخين الإسرائيليين أن هذه الجهود لإجلاء اليهود من الدول العربية بدأت كجهود فردية غير منظمة قام بها الدبلوماسيون الأسبان ثم قامت الخارجية الأسبانية بادعاء أنها جهود حكومية منظمة من أجل استخدامها في الدعاية لنظام فرانكو كداعم للحريات ومدافع عن الفئات "المضطهدة" في العالم الثالث بالإضافة الى أنها احدى حلقات الجهود الأسبانية المستميتة لدرء تهمة معاداة السامية عن كاهل فرانكو ونظامه.[2]

وبغض النظر عن آراء المؤرخين بشأن حجم وتأثير الجهود الأسبانية لإغاثة يهود العالم العربي وإجلائهم، فقد ترتب على هذا التنسيق الدبلوماسي بين أسبانيا والوكالات اليهودية ومن خلفها اسرائيل تقاربا محدودا بين البلدين بمباركة أمريكية. فقررت أسبانيا الإبقاء على قنصليتها بالقدس مفتوحة وعاملة*

[1] Rein, op. cit. p.20

[2] Rein, op. cit. p. 21

* رغم عدم اعتراف أسبانيا بدولة اسرائيل عند تأسيسها فقد احتفظت بقنصليتها عاملة ومفتوحة في القدس بين عامي ١٩٤٨- ١٩٦٧ حين كانت القدس تحت الإدارة الأردنية شأنها في ذلك شأن كافة المدن والقرى الفلسطينية في الضفة الغربية. وفي أعقاب حرب ١٩٦٧ همت أسبانيا بإغلاق سفارتها في القدس عقب الإجتياح الإسرائيلي للمدينة؛ إلا انها فضلت الابقاء عليها عاملة ولم تغلقها متعللة بخدمة اليهود الإسرائيليين من حملة الجنسية الأسبانية و كذلك الرعايا الأسبان خاصة الحجاج الكاثوليك وتمثيل الكنيسة الأسبانية في الأراضي

كما أن اسرائيل أبقت أحد دبلوماسييها اللامعين وهو جوناثان براتو في مدريد ليقترح على الحكومة الأسبانية تأسيس قنصلية محدودة أو مكتب رعاية مصالح اسرائيلية في مدريد أو برشلونة. وبدأ يلوح في الأفق بادرة تعاون أساني-اسرائيلي قد يتطور في نهاية المطاف الى الاعتراف المتبادل وتطبيع العلاقات بين البلدين.[١]

وبينما كان الأمل يلوح في الأفق بفعل التحسن الطفيف في العلاقات الثنائية بين أسبانيا واسرائيل، أتت معركة دولية بعيدة نسبيا عن الشرق الأوسط لتجهض أي أمل في تقارب أسباني-اسرائيلي على المستوى الرسمي. وتمثلت ساحة المعركة الدبلوماسية بين أسبانيا واسرائيل في قضية جبل طارق[٢]؛حيث كانت ادارة فرانكو تسعى سعيا حثيثا لاسترجاع السيطرة على مستعمرة جبل طارق الواقعة جغرافيا على أراضيها والخاضعة لسيادة بريطانيا منذ عام ١٧١٣ بمقتضى معاهدة اوترخت[٣]من خلال الأمم المتحدة. فبينما صوتت الدول العربية جميعها دون استثناء بالموافقة على الطلب الأسباني للأمم المتحدة للسيطرة على جبل طارق، امتنعت اسرائيل عن التصويت ثم زاد ممثلها الطين

المقدسة دون أن تعد القنصلية أو الدبلوماسيين الأسبان بعثة تمثيل رسمي طرف الحكومة الإسرائيلية.

[1] Barrio, op. cit. p. 1138

[٢] تقع شبه جزيرة جبل طارق في أقصى الطرف الجنوبي لشبة جزيرة أيبريا وتعد صخرة جبل طارق أحد أهم المواقع الاستراتيجية الحربية واللوجستية في العالم قاطبة حتى كتب بعض المؤرخين أن تاريخها العسكري يفوق التاريخ العسكري لدول أوروبية بأكملها. ورغم وقوع شبه الجزيرة جغرافيا ضمن الأراضي الأسبانية إلا أن بريطانيا تسيطر عليها بالكامل منذ عام ١٧١٣ وتحتفظ بقاعدة عسكرية ضخمة تحتل معظم مساحتها؛ وبذا تعد شبه الجزيرة أحد اهم مواقع نفوذ بريطانيا وحلف الناتو قاطبة. إلا أن أسبانيا تسيطر على الطرف الجنوبي لمضيق جبل طارق وهو يقع بالأراضي المغربية ويشمل أساسا مدينتي سبتة ومليلة والعديد من الجزر الاستراتيجية غير المأهولة. وبذا يعد المدخل الغربي للبحر المتوسط تحت السيادة البريطانية شمالا والأسبانية جنوبا وتحت تحكم حلف شمال الأطلسي الناتو بصورة عامة.

[٣] تم توقيع معاهدة أوترخت في المدينة الهولندية التي تحمل الاسم نفسه عام ١٧١٣ بين كل من بريطانيا وأسبانيا وفرنسا وعدد من الدول والإمارات الأوروبية لإحلال السلام في غرب أوروبا عقب الاضطرابات التي استمرت بفعل حرب الخلافة الأسبانية التي دامت لأكثر من ثلاثة عشر عاما. وبمقتضى هذه المعاهدة سلمت أسبانيا عددا من مواقعها الاستراتيجية إلى بريطانيا اثباتا لحسن النوايا وابعادا لاحتمال تكوين اتحاد أو تحالف أسباني فرنسي يهدد بريطانيا. وبذلك استولت بريطانيا على مستعمرتي جبل طارق وجيرة مينوركا وهي إحدى جزر البليار الأسبانية في البحر المتوسط، مع احتفاظ أسبانيا بسيطرتها على الجهة الجنوبية من المضيق الاستراتيجي في كل من سبتة ومليلة.

بلة بالاشارة الى سنوات الحرب الأهلية التي انتهت بسيطرة فرانكو على أسبانيا والقضاء على الديمقراطية متعاونا مع الفاشيست الأوروبيين؛ بينما ظلت جبل طارق- بحسب ممثل اسرائيل- ملاذا حرا وديمقراطيا وحيدا في غرب البحر المتوسط بفضل تبعيتها لبريطانيا وبقائها بعيدا عن حكم فرانكو.[١] ومن هنا عادت العلاقات الأسبانية الإسرائيلية للمربع صفر وسكتت جميع الأصوات الصحفية والثقافية التي روجت عقب يونيو ١٩٦٧ لفكرة التقارب مع الدولة الصهيونية والاعتراف بها. أي أن موقف إسرائيل المؤيد لبريطانيا في قضية جبل طارق قد أجهض أملا- هو بالأصل ضعيف- في تطبيع علاقاتها مع أسبانيا.

وفي أعقاب هذه المواجهة الدبلوماسية بدأت أسبانيا في تكثيف الهجوم على اسرائيل على منبر الأمم المتحدة؛ فألقى ممثل أسبانيا بالمنظمة كلمة حادة في عام ١٩٦٨ طالب فيها اسرائيل باحترام حقوق اللاجئين الفلسطينيين وحقهم المشروع في العودة لأراضيهم سواء من هجروا في الأربعينيات أو الستينيات، واعتبر الممثل الأسباني أن حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة هو مسئولية سياسية وأخلاقية تقع على عاتق اسرائيل وكذلك على عاتق المجتمع الدولي بأكمله.[٢]

وفي الثالث من فبراير عام ١٩٧١ حضر وزير الخارجية الأسباني لوبيث برابو Lopez Bravo اجتماعا هاما عقده المركز القومي العالي لدراسات الدفاع الوطني[٣] في مدريد وأكد خلاله أن االصداقة والشراكة مع الدول العربية تقع ضمن أولويات وثوابت السياسة الخارجية للحكومة الأسبانية من خلال تقاطع المصالح الدفاعية والتنسيق الأمني المشترك لدول حوض البحر المتوسط. وشدد على التزام أسبانيا بدعم الحق الإنساني للاجئين الفلسطينيين في العودة إلى أراضيهم وضرورة اصطفاف المجتمع الدولي لتنفيذ هذا المطلب العادل.[٤]

---

[1] Berdichevsky, op. cit.

[2] Barrio, op. cit. p. 1137

[٣] CESEDEN أو المركز القومي العالي لدراسات الدفاع الوطني El Centro Superior de Estudios de la Defensa Nacional هئة بحثية أسبانية رفيعة المستوى ويعد أحد أهم المعاهد التدريبية والأكاديمية التابعة لقيادة القوات المسلحة الأسبانية. تأسس عام ١٩٦٤ ويعد أحد معاهد التدريب الخاصة بالناتو في غرب أوروبا منذ انضمام أسبانيا إلى عضوية الحلف في ١٩٨٢. عرف خلال فترة حكم فرانكو كأحد مراكز التفكيرالاستخباراتية والاستراتيجية الهامة للنظام الأسباني.

[4] Barrio, ibid, p1137

ورغم هذا التوتر الكبير في علاقاتها مع اسرائيل نجد أن أسبانيا حافظت على نهجها المذكور سابقا ألا وهو تعزيز دراسة اللغة والتراث العبري من خلال مؤسسات أكاديمية وثقافية بعضها حكومي والآخر أهلي، كما أن أسبانيا كانت تنظر الى مراكز الدراسات العبرية تلك، سواء الحرة أو التابعة للجامعات الأسبانية، باعتبارها همزة وصل غير رسمية بين البلدين، وكذلك كسلاح دعائي وأيديولوجي مهم لدرء تهمة معاداة السامية إن وجهت إليها. وكلما تم اشهار جمعية أو رابطة لإحياء التراث اليهودي في أسبانيا أو استدعاء تاريخ اليهود السفارديين كانت اسرائيل – باعتبارها الوطن القومي لليهود على حد خطابها الوطني المحلي والدولي- تعتبر أن تلك خطوات حميدة هدفها تعزيز العلاقات بين البلدين. ومن أمثلة ذلك، افتتاح مركز الدراسات المسيحية اليهودية الذي أسسته جمعية أخوات صهيون في العاصمة مدريد عام ١٩٧٢ والذي يصدر مجلة رسمية تنشر بانتظام منذ عام ١٩٧٨ تدعى El Olivo، بالإضافة الى العديد من المراكز البحثية بالجامعات الأسبانية آنذاك والتي انتقدها الاسرائيليون واعتبروها قاصرة ومسيسة؛ لأنها تدرس تاريخ الشعب اليهودي في القرون الوسطى والتاريخ العبري القديم واللغويات العبرية دون أن تتطرق الى التاريخ الحديث والمعاصر لليهود في أوروبا وما شهدوه من مآسي في العقود القريبة.[١]

وأتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ كاختبار حقيقي لمدى التزام أسبانيا بصداقتها ومصالحها مع الدول العربية؛ حيث طلبت الولايات المتحدة من الحكومة الأسبانية الإذن بالتحليق والهبوط والتموين لطائرات الجسر الجوي التي كانت تدعم القوات الإسرائيلية، إلا أن أسبانيا رفضت منح أي من هذه الحقوق للولايات المتحدة وهو الأمر الذي ذكره تفصيليا المشير عبد الغني الجمسي في مذكراته وإشارته لدور دول البحر المتوسط في مساعدة مصر أثناء الحرب بصورة غير مباشرة حيث رفضت أسبانيا واليونان وتركيا وإيطاليا تمكين الولايات المتحدة من استخدام مطاراتهم بأي شكل كان أثناء اشتعال الحرب. كانت أسبانيا حريصة على علاقاتها مع الدول العربية التي أسستها والتزمت بها طيلة عقود وكذلك تخوف الأسبان من قطع امداد البترول العربي الذي يمثل حوالي تسعين بالمائة من إجمالي احتياج السوق الأسبانية.[٢]

مرحلة التحول الديمقراطي في أسبانيا (١٩٧٥-١٩٨٦)

[1] Alonso, op. cit. p 158
[2] Abadi, op. cit. p187

توفي الجنرال فرانكو عام ١٩٧٥ تاركا خلفه مجتمعا يصبو إلى التعددية السياسية واللحاق بالركب الديمقراطي الغربي. وعمل السياسيون الأسبان على توحيد صفوفهم ومحاولة تجاهل خلافاتهم الأيديولوجية العميقة معلنين هدفا واحدا ألا وهو التحول الديمقراطي والانتماء إلى أوروبا الحرة التي تنعم بالديمقراطية وتداول السلطة وتعتنق قيم المشاركة والتعددية. واصبح الملك خوان كارلوس هو الحاكم الأسباني الجديد ومنح الضوء الأخضر للقيادات السياسية للبلاد وعلى رأسها رئيس الوزراء خواريث لإعلان أسبانيا ملكية دستورية ديمقراطية ترحب بممارسة العمل السياسي السلمي بمشاركة الأحزاب والحركات السياسية الوطنية جميعها دون إقصاء والتي ستساهم في وضع الدستور الجديد للبلاد والعبور بها إلى مستقبل ديمقراطي يستوعب الجميع دون تخوين أو تهميش. كما أعلن الملك خوان كارلوس Juan Carlos أن أسبانيا التعددية يتنفتح على العالم وستعترف بحميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وتطبع العلاقات مع كل شعوب العالم قاطبة.

وسارع الدبلوماسيون الإسرائيليون الى زيارة مدريد والإلحاح على ضرورة التقارب بين مدريد وتل أبيب في العهد الجديد. وفي مارس ١٩٧٦، أصدر ممثلو جامعة الدول العربية في مدريد تقريرا أشاروا فيه إلى تلك المحاولات الإسرائيلية المستميتة للتقارب مع أسبانيا. إلا أن هذا التقرير زعم أن تلك الجهود الإسرائيلية قد فشلت لسببين رئيسيين أولهما زيارة رئيس الوزراء المصري ممدوح سالم إلى مدريد عقب وفاة فرانكو مباشرة وتأكيده على المصالح العربية الأسبانية المشتركة وكذلك العديد من المراسلات غير الرسمية والوساطات الدبلوماسية التي قامت بها وفود الدول العربية في مدريد لتحذير الإدارة الجديدة من مغبة الاعتراف بإسرائيل أو التقارب معها مما سيعني اضطرار الدول العربية إلى تقليص شراكتها الاقتصادية والتجارية وروابط الصداقة مع أسبانيا بكافة أشكالها ومستوياتها.[1]

وقام رئيس الوزراء الأسباني ميجيل سواريث Miguel Suarez بدعوة قائد منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات الى القيام بزيارة رسمية لمدريد وذلك في منتصف سبتمبر عام ١٩٧٩ وهي الزيارة التاريخية الأولى من نوعها التي يتم فيها دعوة عرفات واستقباله بصورة رسمية في عاصمة أوروبية.[2]

[1] Abadi, Ibid, PP: 173-174

[2] Adolfo Suárez recibe hoy a Yasser Arafat, El Pais, 13/9/1979

هـذا ويعـد عـام ١٩٨٠ عامـا فاصـلا فـي تـاريخ الصـراع الفلسـطيني الإسـرائيلي؛ اذ اجتمعـت الـدول الأوربيـة الأعضـاء فـي الجماعـة الاقتصـادية الأوروبية وأعلنت تأييدها الكامل لتأسيس الدولة الفلسطينية المستقلة والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ورسمي للشعب الفلسطيني. أتت هذه القرارات وإعلانها ضمن نتائج المؤتمر المنعقد في مدينة فينيسيا الإيطالية في شهر يونيو من عام ١٩٨٠. ويعد إعلان فينيسيا[١] إحدى الخطوات النادرة التي حاول خلالها الأوروبيون كسر الاحتكار الأمريكي للوساطة في صراع الشرق الأوسط.[٢] وتزامنت هذه الخطوات مع تقارب أسباني إسرائيلي في عام ١٩٨٢ تمثل في افتتاح مكتب شركة الطيران الوطنية الإسرائيلية "العال" في مدريد وتسيير أول خط جوي مباشر بين تل أبيب ومدريد لخدمة سفر الركاب وكذلك التبادل التجاري بين البلدين.[٣]

وشهد عام ١٩٨٢ تحولا خطيرا في أسبانيا بعد اتمام اجراءات التحول الديمقراطي[٤] وعقد انتخابات شاملة أسفرت عن فوز الحزب الاشتراكي، حيث شنت اسرائيل عدوانها على لبنان واجتاحته في يونيو ١٩٨٢ فضجت شوارع أوروبا وخاصة أسبانيا بالمظاهرات المنددة بتلك الحرب التي فشلت اسرائيل أن تقنع أوروبا بأنها كانت حربا دفاعية كما اعتادت الزعم أثناء وعقب كل مواجهة

[١] صدرإعلان فينيسيا في ١٣ يونيو ١٩٨٠ حيث أقرت الدول التسع الأعضاء بالسوق الأوروبية المشتركة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وكذلك الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني وقضيتح وحقوقه مع إقرار هذه الدول باحترامها وضمانها لأمن جميع دول الشرق الأوسط وحقها في الوجود والسلام بما فيها دولة اسرائيل

[2]The Venice declaration (text of Declaration), The Palestine Israel Journal of politics, Economics and culture, Towards Statehood, Vol.6 No.2 1999

[3] Miller, R. The PLO Factor in Euro-Israeli Relations 1964-1992 in Efraim Karsh (Ed.) Israel the first hundred years, Vol 4 (Israel in the International Arena), Frank Cass Publishing, London, 2004, P 135

[٤] يعد عام ١٩٨٢ عام اتمام التحول الديمقراطي في أسبانيا وانتهاء المرحلة الانتقالية التي بدأتها البلاد عام ١٩٧٥ عقب وفاة فرانكو. حيث شهد هذا العام انتخابات عاملة شاملة انتهت بفوز حزب العمال الاشتراكي وتوليه السلطة في البلاد. وشهد هذا العام أيضا اصدارقانون الحكم المحلي في اقليم الباسك ليصبح ثاني اقليم يحصل على وضع الحكم الذاتي بعد اقليم كاتالونيا (١٩٧٩) وذلك بناء على الاجراءات التي اعترف بها دستور ١٩٧٨ . كماانضمت أسبانيا الى حلف الناتو رسميا في ١٩٨٢ .

عسكرية مع العرب. وتعاظم الغضب الشعبي الأسباني ضد اسرائيل بعد وقوع مذبحة صابرا وشاتيلا وانتشار صور الضحايا الصادمة وصور جثامين الشهداء في معسكرات اللاجئين الفلسطينين عبر المتوسط إلى أوروبا. وكان أخطر ما دار في المظاهرات الشعبية والنقاشات الإعلامية في أسبانيا أن طرحت المقارنة بين اليهود والنازيين وتجرأ بعض المعلقين الأسبان على المقارنة بين ما تعرض له اليهود من ابادة على يد النازيين أثناء الحرب العالمية الثانية مع ما تقوم به اسرائيل في حق العرب وقالوا بأن اليهود اليوم يكررون في لبنان ما فعله هتلر في ألمانيا وشرق أوروبا بحق اليهود؛ مما عد كسرا صريحا لخط أحمر لم يجسر العالم الغربي على تجاوزه منذ انتهاء الحرب في ١٩٤٥.[١]

وجسرت صحيفة البابيس El Pais (البلد) شبه الرسمية على الاشارة لهذه المقارنة في مقالها الافتتاحي بعنون "مذبحة بيروت" والذي نددت فيه بمذبحة صابرا وشاتيلا وأشارت كذلك الى حرص أوروبا والعالم الغربي لسنوات طويلة على إحاطة ذلك البلد الصغير –اسرائيل- بالرعاية والدعم تعويضا عما قاساه شعبه في سنوات الحرب بل والإعجاب بدولة طموح حديثة التأسيس تدافع عن نفسها ضد أعداء متربصين؛ إلا أن المذبحة التي جرت تمنح الجماهير الأوروبية شعورا بأنها قد تعرضت للغش والخداع، لذا فقد تراجع الأمل في بناء عالم ما بعد الحرب وهو ما يؤكد أن النازية والستالينية – بحسب الصحيفة- مازالتا ترتعان في العالم وان اتخذتا أسماء وصفات وأشكالا مختلفة.[٢]

وقامت أسبانيا ممثلة في حكومتها وكذلك في المجتمع المدني بتنظيم رحلات ترفيهية لاستضافة أطفال المخيمات الفلسطينيين الذين يعانون من ويلات الحرب الأهلية اللبنانية لقضاء قرابة ستة أسابيع يتجولون ويتنزهون خلالها في مختلف المدن الأسبانية بصحبة أطفال أسبان من أعمار مقاربة لهم ويقضون الوقت في الحدائق والشواطيء وغيرها من المتنزهات. وشارك في تنظيم هذه الرحلات منظمة التحرير الفلسطينية واللجنة الدولية للصليب الأحمر؛ حيث استقبلت أسبانيا المجموعة الأولى التي ضمت ٢٢٨ طفلا فلسطينيا من قاطني المخيمات في لبنان في شهر سبتمبرعام ١٩٨٢. وتلقى منظمو الرحلات اتصالات تليفونية عدة من أسر أسبانية أبدت رغبتها في المساهمة بالترويح عن هؤلاء الأطفال المصدومين من ويلات اللجوء والحرب حتى أن بعض هذه الأسر قد عرض

[1] Alonso, op. cit. pp: 151-152

[2] EDITORIAL: La Matanza de Beirut, El Pais, 20/9/1982, accessed 12/4/2019

تبني هؤلاء الأطفال رسميا. وردت الحكومة الأسبانية بأن الاتفاق المبرم مع منظمة التحرير الفلسطينية يقضي بعودة هؤلاء الأطفال الى ذويهم على أن ينقلوا بعيدا عن مسرح الحرب اللبنانية للعيش في مدينة دمشق بسوريا.[١]

ولم تتحمس اسرائيل لقرار الجماعة الاقتصادية الأوروبية EEC ضم أسبانيا إلى عضويتها، وعندما حاصر الصحفيون الأوروبيون والأسبان وزير خارجية اسرائيل اسحاق شامير أثناء اجتماعات رسمية في عاصمة ألمانيا الغربية بون في فبراير ١٩٨٣، قال شامير أن اسرائيل قلقة لانضمام أسبانيا إلى الجماعة الاقتصادية لخشيتها على موقف الصادرات الزراعية الإسرائيلية إلى دول أوروبا. ورفض شامير الإجابة عن أسئلة الصحفيين بشأن التحقيقات الجارية في اسرائيل –آنذاك – حول مذبحة صابرا وشاتيلا.[٢]

وشهد منتصف الثمانينات عدة تفجيرات انتحارية في عدد من المدن الأسبانية أعلنت بعض الحركات الفلسطينية المسلحة مسئوليتها عنها مما جعل الصحافة الأسبانية تنتقد العنف الذي تمارسه بعض الفصائل الفلسطينية على الأراضي الأوروبية سواء تجاه أهداف أوروبية أو اسرائيلية. وقامت منظمة التحرير الفلسطينية بعملية محدودة في سبتمبر ١٩٨٥ لاغتيال بحارين اسرائيليين بميناء برشلونة الأسباني مما تسبب في غضب كبير بالأوساط السياسية والشعبية في أسبانيا.[٣]

وفي الأول من أكتوبر عام ١٩٨٥ قامت اسرائيل بشن هجمة جوية على الأراضي التونسية في المنطقة المعروفة بحمام الشط والتي كانت تستضيف اجتماعا رفيع المستوى لقيادات منظمة التحرير الفلسطينية وهي العملية العسكرية المعروفة باسم "الساق الخشبية". شنت اسرائيل الغارة على المنزل الذي كان بصدد استضافة الاجتماع بقيادة ياسر عرفات وكبار مسئولي منظمة التحرير عن طريق ثمانية طائرات مقاتلة مما أدى إلى استشهاد خمسين

[1] Martinez-Soler, A. Spain's gesture to the PLO -- a dream vacation for Palestinian orphans, The Christian science Monitor, 13/9/1982, accessed 20/8/2019

[2] Isaac Shamir prefirió hablar del ingreso de España en la CEE, El Pais, 9/2/1983, accessed 11/4/2019

[3] Livingstone, NC and Halevy, D.H. Inside the PLO: Covert units, secret funds and the war against Israel and the United States, William Morrow and company, New York, 1990, P38

فلسطينيا وثمانية عشر تونسيا بالاضافة الى مائة مصاب وخسائر مادية تقدر بأكثر من ثمانية ملايين دولار. وسارعت أسبانيا بشجب الهجوم بأقوى العبارات وقدم ممثلها الدائم بالأمم المتحدة رسالة رسمية من حكومته الى الأمين العام ندد فيها بالهجوم والاعتداء السافر على السيادة التونسية وعلى أرواح قيادات وممثلي الشعب الفلسطيني.[١]

والحقيقة أن انضمام أسبانيا الى السوق الأوروبية المشتركة كان يسبب قلقا كبيرا لاسرائيل على المستويين الاقتصادي والسياسي. وحاول المسئولون الإسرائيليون بكل قوة عرقلة الجهود الأسبانية للانضمام الى السوق منذ عام ١٩٧٦ أي مباشرة فور بدء اجراءات التحول الديمقراطي في أسبانيا ومحاولة حكومة تلك الأخيرة اللحاق بقطار الجماعة الاوروبية. حتى أن وزير الخارجية الإسرائيلي اسحاق شامير (ترأس الحكومة الإسرائيلية فيما بعد) قد طلب صراحة ومباشرة من المسئولين الأوروبيين في اجتماعات رسمية خلال فبراير ١٩٨٣ ثم ١٩٨٥ اعادة النظر في أمر انضمام أسبانيا الى التجمع الأوروبي الاقتصادي الواعد متعللا بأن قسما مهما من الصادرات الزراعية والتجارية الإسرائيلية تستقبله أوروبا وبالتالي فإن انضمام أسبانيا وكذلك البرتغال سيضعف بنية الاقتصاد الإسرائيلي ويؤثر على الميزان التجاري بين أوروبا واسرائيل بشكل كبير.[٢]

والحقيقة أن معارضة اسرائيل لانضمام أسبانيا الى السوق الأوروبية المشتركة لم يكن مبنيا فقط على الخصومة الدبلوماسية والبرود السياسي بين البلدين؛ اذ أبدت اسرائيل تخوفها من انضمام أسبانيا وكذلك البرتغال واليونان الى السوق لعلمها أن الصادرات الزراعية لهذه البلدان الأوروبية ستكون أقل سعرا وأقرب مسافة وأعلى جودة مما ينتجه المزارع الإسرائيلي مما سيؤدي الى تدهور الصادرات الإسرائيلية الى السوق الأوروبية. ورغم أن السوق الأوروبية المشتركة منذ تأسيسها قد حرصت على التوازن في علاقاتها بالدول العربية واسرائيل على حد سواء، إلا أن اسرائيل حققت استفادة أكبر من المزايا

[1] Situation in the OPT/Mideast situation – Congress of Deputies of Spain communiqué – Letter from Spain, document S/l9549,
[2] Miller, op. cit. p.135

النسبية والتسهيلات المالية واللوجستية والجمركية مقارنة بالدول العربية حيث أن صادراتها الى دول السوق فاقت الصادرات العربية.[1]

وحاول المسئولون الإسرائيليون من خلال ممثليهم في المؤسسات الأوروبية تشكيل محور حليف يساندهم في عرقلة انضمام دول جنوب اوروبا الى السوق الأوروبية المشتركة، وتواصل الإسرائيليون مع نظرائهم الفرنسيين والإيطاليين محذرين من الضرر الذي سيقع على البلدين ان انضمت أسبانيا والبرتغال واليونان الى السوق وبالتالي نافست منتجاتهم الحاصلات الفرنسية والإيطالية. كما لوح الدبلوماسيون الإسرائيليون بورقة ضغط ألا وهي اتفاقات التجارة الحرة الدولية التي تمنع انضمام أعضاء جدد الى التجمعات الاقتصادية ان كان ذلك سيضر بمصالح الأعضاء الفعليين أي بزعم أن هذه التوسعة ستؤذي اسرائيل. وكتب بعض المحللين الإسرائيليين نقدا لحكومتهم التي فوتت فرصة ذهبية حينما عرضت ألمانيا الغربية انضمام اسرائيل كعضو كامل في السوق الأوروبية المشتركة وبالتالي كانت لتحوز حقوق التصويت واتخاذ القرار. إلا أن المسئولين الإسرائيليين آنذاك فضلوا الانضمام لمنظمة التجارة العالمية مع الاحتفاظ بوضع متميز واتفاقات ثنائية تفضيلية مع السوق الأوروبية المشتركة دون الانضمام كعضو كامل. وهو ما ستدفع اسرائيل ثمنه-بحسب هؤلاء النقاد- متمثلا في عجزها عن صنع القرار بشأن ضم أعضاء جدد للتجمع. كما كتب المتخصصون في الصحافة الإسرائيلية أن انضمام أسبانيا الى السوق سيعني حتما انهيار صادرات البرتقال الإسرائيلي الى السوق الأوروبية؛ حيث أن المنتج الأسباني عالي الجودة سيعززه القرب الجغرافي وبالتالي انخفاض تكاليف الشحن والتخزين وسيحوز أفضلية لدى المستهلك الأوروبي. وهو الأمر نفسه الذي سيؤثر على صادرات الخضروات والزيتون والفواكه وغيرها مما ستقدمه أسبانيا الى جيرانها الأوروبيين.[2] إلا أن أوروبا لم تجد بدا من قبول أسبانيا عضوا في سوقها المشتركة وذلك في مطلع يناير ١٩٨٦ بعد أن أتت جهود التحول الديمقراطي الأسباني ثمارها وتحطمت كل الأعذار والحجج التي كانت تعوق أسبانيا عن المشاركة الدولية والإقليمية.

الاعتراف الأسباني بدولة اسرائيل واندلاع الإنتفاضة الفلسطينية الأولى

[1] "Israel's External Trade Relations." Journal of Palestine Studies, vol. 8, no. 1, 1978, P143

[2] "Israel's External Trade Relations.", P145

ويعد عام ١٩٨٦ عاما حاسما فيما يتعلق بعلاقة أسبانيا بكل من اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية على حد سواء. حيث التقى رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحاق شامير مع وفد أسباني رسمي في مدينة لاهاي الهولندية في مطلع عام ١٩٨٦ ليتفق الطرفان على الاعتراف المتبادل وتبادل السفراء. إلا أن الوفد الأسباني قدم للاسرائيليين وثيقة رسمية بما أسموه قائمة الحقوق الفلسطينية أكدوا فيها على ضرورة التزام اسرائيل بالمواثيق والقرارات الدولية الخاصة بالفلسطينين وعلى رأسها موضوع اللاجئين.[1] وبالفعل، اعترفت أسبانيا رسميا بدولة اسرائيل في يناير عام ١٩٨٦ واستقبلت مدريد خلال أسابيع قليلة أول سفيراسرائيلي وهو صامويل حداس Samuel Hadas والذي عين لاحقا كسفير اسرائيل للفاتيكان ويعد من الوجوه التي تجمع بين الدبلوماسية والثقافة في الخارجية الإسرائيلية حيث عمل في مدريد كممثل لبلاده في منظمة السياحة العالمية مما سهل دوره كممثل غير رسمي لإسرائيل طرف الحكومة الأسبانية قبل الاعتراف الكامل بها وتبادل الدبلوماسيين الرسمي[2]، وأرسلت أسبانيا كذلك سفيرها الأول الى تل أبيب بيدرو لوبيز أجيربينوا Pedro Lopez Aguirrebengoa والذي سبق له تمثيل بلاده في العاصمة اليونانية أثينا.[3] وبعد أشهر قليلة وفي أغسطس من العام نفسه، رفعت أسبانيا درجة ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في أسبانيا ومقره الى درجة دبلوماسية عليا تقارب درجة سفير أو رئيس بعثة دبلوماسية طرفها. وأعلن ذلك الخبر وزير الخارجية الأسباني مؤكدا على نهج أسبانيا الدائم في الحفاظ على روابط الصداقة والتضامن مع الشعب الفلسطيني وتعزيز الصلة مع ممثليه من منظمة التحرير الفلسطينية.

وكتبت الصحف الأسبانية وعلق المحللون الأسبان ومتابعو الشئون الدولية في أوروبا بشكل عام أن هذا الاعتراف الأسباني باسرائيل ما هو إلا نتيجة للضغوط التي مارستها السوق الأوروبية المشتركة على أسبانيا من أجل الاعتراف باسرائيل وهو المنحى الذي اتبع من قبل مع كل من أيرلندا ثم اليونان وأن أسبانيا اضطرت لهذا الاعتراف بفعل الضغوط الأوروبية وبسبب رغبتها في إتعاش اقتصادها من أجل اللحاق بركب السوق الأوروبية المشتركة.[4] كما

[1] Miller, op. cit. p.135

[2] El Reconocimiento de Israel: Samuel Hadas, Embajador 'in péctore', El Pais, 17/1/1986, accessed 23/3/2019

[3] Primer Embajador en Israel, El Pais, 25/1/1986, accessed 23/3/2019

[4] Miller, op. cit. p. 136

أرسل الملك خوان كارلوس رسائل رسمية للسفراء والبعثات الدبلوماسية العربية في مدريد قال فيها ان أسبانيا الجديدة تتبع نهج الصداقة مع جميع دول العالم وأن الاعتراف باسرائيل لا يعني تراجع أسبانيا عن مواقفها الداعمة للحقوق الفلسطينية وحق جميع الشعوب في تقرير مصيرها وان تنعم بالأمن والسلام. كما عبر ملك أسبانيا عن أمله في أن يكون تعزيز الروابط مع اسرائيل سببا في أن تلعب أسبانيا دور الوساطة بين الفلسطينيين والإسرائيليين مما قد يجعل حلم السلام العادل في الشرق الأوسط أمرا ممكنا.[١]

ومع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧ ارتفعت الأصوات الرسمية والإعلامية الأسبانية ضد العنف الإسرائيلي الذي نال من حرية الفلسطينيين وممتلكاتهم وأرواحهم. وقدم ممثل أسبانيا الدائم لدى الأمم المتحدة بيانا رسميا أصدره مجلس النواب الأسباني في الأول من مارس عام ١٩٨٨ ندد من خلاله نواب الشعب الأسباني المنتخبون بعنف اسرائيل واستمرارها في احتلالها غير الشرعي في الضفة الغربية وغزة وطالب النواب الأسبان اسرائيل باحترام المواثيق الدولية وعلى رأسها الفصل الرابع من اتفاقية جنيف والذي يلزم قوى الاحتلال بضوابط أمعنت اسرائيل في كسرها والتغافل عنها. وأكد البيان بكل حزم تضامن أسبانيا مع حق جميع دول المنطقة في العيش سويا في سلام يشمل للجميع الاستقلال والحرية ومن ضمنهم الشعب الفلسطيني الذي لا يجب انكار حقه في تقرير مصيره. كما طالب البيان حكومة أسبانيا بالتأكيد طرف الأمم المتحدة على دعم الشعب الأسباني لجهود المنظمة الدولية من أجل عقد مؤتمر شامل مبني على قرارات الأمم المتحدة يهدف إلى جمع خصوم الشرق الأوسط بهدف تحقيق السلام وذلك بدعم كامل من أسبانيا ومن خلال مؤسسات الاتحاد الأوروبي وجميع الأطراف الدولية التي يهمها احلال السلام العادل والشامل في الشرق الأوسط.[٢]

[1] Cordoba Hernandez, A.M. Espana, Israel Y Palestina: Pasado Y Presente De Sus Relaciones Diplomaticas, Historia y Politica, no. 26, Madrid, July-December (2011), P300

[2] Situation in the OPT/Mideast situation – Congress of Deputies of Spain communiqué – Letter from Spain, Letter dated 26/2/1988 from the representative of Spain to the Secretary-General, DOCUMENT S/l9549, Document symbol: A/43/177-S/19549, https://www.un.org/unispal/document/auto-insert-187420/ , accessed 25/8/2019

عملية السلام في الشرق الأوسط بين مؤتمر مدريد واتفاقات أوسلو (١٩٩١-٢٠٠)

لاقت الحكومات الاشتراكية المتعاقبة في أسبانيا خلال عقد الثمانينات شعبية أوروبية ودولية كبيرة خاصة أثناء رئاسة أسبانيا للاتحاد الأوروبي عام ١٩٨٩. وقام ياسر عرفات بزيارة تاريخية إلى مدريد عام ١٩٨٩ قابل خلالها الملك خوان كارلوس الذي أعلن عقب اللقاء أن حق الفلسطينيين في الاستقلال والسلام أمر يجب على المجتمع الدولي تحقيقه بالطرق السلمية.[1] وقررت الحكومة الأسبانية بقيادة جونزاليس عقب حرب الخليج (حرب تحرير الكويت) أنه ربما حان الوقت لكي تلعب أوروبا دورا أكبر وأهم في الشرق الأوسط. ووافقت الدول العربية واسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية على عقد مؤتمر دولي في العاصمة الأسبانية بنهاية أكتوبر ١٩٩١ لتناقش جميع الأطراف في مفاوضات مباشرة كيفية انهاء الصراع الدامي المستمر منذ عقود في الشرق الأوسط. إلا ان المؤتمر لم يحقق المرجو منه وهو الوصول لاتفاق ينهي الصراع في الشرق الأوسط اذ انتقلت المفاوضات الى واشنطن ومنها الى أوسلو، إلا أن المبادرة الأسبانية ظلت تحمل طابعا رمزيا كونها المرة الأولى التي وافقت فيها جميع الأطراف على الجلوس وجها لوجه ومحاولة الوصول لتسوية سلمية شاملة.[2] لذا يعد مؤتمر مدريد أيضا بمثابة اللبنة الأولى للمفاوضات المباشرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين والتي لم يكن ليتخيل حدوثها أي مراقب سياسي على مدى عقود من الصراع المرير بين الطرفين. وأصبح اسم مدريد مرادفا للأمل في بدء عملية سلام شامل وعادل تعيد للشعب الفلسطيني حقوقه المسلوبة وترفع الاحتلال عن الأراضي العربية كافة. وكتب وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر أنه عندما سأل الرئيس السوري الأسبق حافظ الأسد وكذلك اسرائيل عن عاصمة يوافق الطرفان على عقد مؤتمر السلام بها، كانت مدريد هي نقطة التوافق بين كافة الاطراف.[3]

وعقب المؤتمر، شهدت العلاقات الثنائية بين كلا من أسبانيا واسرائيل تطورا كبيرا على الأصعدة السياسية والثقافية والاقتصادية خلال عقد التسعينيات؛ حيث أدى التفاؤل بشأن تطورات عملية السلام بين العرب واسرائيل الى فتح فرص تعاون للدولة العبرية مع العالم الخارجي بشكل أكثر ارتياحا وسهولة وبممانعة شعبية أقل في بلدان مختلفة ومنها أسبانيا.

---

[1] Abadi, op. cit. p. 191

[2] Cordoba Hernandez, op. cit. p.302

[3] Abadi, Ibid, p191

وكانت أسبانيا قد أطلقت مشروعا دوليا طموحا بدأ في عام ١٩٩١ لدعم نشر اللغة والثقافة الأسبانية وثقافة أمريكا اللاتينية والعالم الهسباني من خلال تأسيس سلسلة من المراكز الثقافة الأسبانية الرسمية التابعة للدولة والمسماة بمعاهد ثربانتس Instituto Cervantes تحمل اسم أديب أسبانيا ذائع الصيت ميجيل دي ثربانتس مؤلف رواية "دون كيخوته" الشهيرة. وانتشرت تلك المراكز في دول العالم كافة تحت اشراف السفارات والقنصليات والبعثات الدبلوماسية الرسمية لأسبانيا وتم افتتاح فروع لها بمصر ولبنان وسوريا والأردن فور تأسيسها.[١] ورغم انتشارمعاهد الثقافة الأسبانية في الدول العربية بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، لم تقم أسبانيا بافتتاح معهد ثربانتس باسرائيل حتى عام ١٩٩٨ أي بعد أكثر من سبعة أعوام مرت على بدء المشروع. وأعلن معهد ثربانتس في تل أبيب أنه سيقوم بدوره المعتاد والمستهدف من تأسيسه وهو نشر اللغة والثقافة الأسبانية بالإضافة الى مهمة خاصة وهي حفظ وتنمية احدى اللغات الشعبية والمعترف بها كلغة أقلية لدولة اسرائيل ألا وهي لغة "لادينو" Ladino وهي خليط من العبرية القديمة والأسبانية والخاصة بيهود أسبانيا السفارديم والذين ينتمون الى أصول مشرقية.[٢]

وما إن وقع الفلسطينيون والإسرائيليون اعلان أوسلو عام ١٩٩٣ حتى احتفت به الصحافة والشارع الأسباني على حد سواء وساد اعتقاد عام بأن الصراع في الشرق الأوسط يلفظ أنفاسه الأخيرة. وسارعت دور النشر الأسبانية لترجمة روايات الكتاب الإسرائيليين إلى اللغة الأسبانية والاحتفاء بالمثقفين الإسرائيليين في مجالات عدة ودعوتهم إلى مناسبات ثقافية وفنية بمختلف المدن الأسبانية. وبدأت الصحافة الأسبانية تتحدث عن اسرائيل التعددية التي تعتنق الصهيونية وتقبل في الوقت نفسه مشاطرة الأرض مع الفلسطينين لتحقيق حل الدولتين.[٣]

وكانت أسبانيا منذ عام ١٩٩١ وفي أعقاب مؤتمر مدريد؛ قد قررت ضخ مساعدات للمشروعات التنموية في غزة والضفة الغربية ووضعت فلسطين ضمن مناطق الأولوية لاستقبال الدعم الأسباني جنبا الى جنب مع

[1] Quiene somos: El Instituto Cervantes, https://www.cervantes.es/sobre_instituto_cervantes/informacion.htm , accessed 27/12/2019

[2] Lopez Aylloun, L. Entrivesta con el ex-ambajador de Israel en Espana Herzl Inbar, Hesperia Culturales Del Mediterraneo, Vol 2, 2007,, p173

[3] Alonso, op. cit. pp: 158-159

أمريكا اللاتينية والمغرب. وشهدت مدينة تونس في يوليو ١٩٩٤ توقيع بروتوكول تعاون وتشكيل لجنة ثنائية أسبانية-فلسطينية أعقبها أن افتتحت أسبانيا في عام ١٩٩٥ مكتب تعاون فني في الأراضي الفلسطينية وأصبحت أسبانيا أكبر داعم اوروبي للسلطة الفلسطينية حتى أنها قد ضخت مساعدات مالية وعينية في غزة والضفة الغربية تجاوزت ١٧٥ مليون دولار بين عامي ١٩٩٤ وعام ٢٠٠٣.[١]

وفي أعقاب اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحاق رابين عام ١٩٩٥ بدأت الصحافة الأسبانية سواء في مقالات الرأي أو التغطيات الإخبارية على حد سواء مناقشة التوتر الفلسطيني- الإسرائيلي بصورة مكثفة وأفردت الصحف والبرامج الإذاعية والتليفزيونية صفحات بأكلمها وساعات بث طويلة تناقش دور اليمين المعتدل واليمين المتطرف في اذكاء الصراع السياسي والديني بين الشعبين. إلا أن شخص ياسر عرفات ظل رمزا للسلام خاصة بعد غياب رابين وكتب الصحفيون الأسبان عن الأمل الضعيف في استمرار السلام بين الجانبين.[٢]

وشهد عام ١٩٩٥ خطوة هامة على الصعيد الإقليمي تمثلت في استضافة مدينة برشلونة الأسبانية لمؤتمر دولي هام أعقبه اطلاق عملية برشلونة The Barcelona Process للتعاون الأورومتوسطي. ونص اعلان برشلونة على التعاون بين دول البحر المتوسط على ثلاثة محاور: السياسي الأمني، والاقتصادي المالي وأخيرا الثقافي الإجتماعي من أجل اقرار السلام والتعاون بين دول الاتحاد الاوروبي شمالا والدول المشاطئة له عبر المتوسط متمثلة في تركيا ومصر وسوريا ولبنان وتونس والجزائر والمغرب والأردن واسرائيل والسلطة الفلسطينية الوليدة.[٣] وأعلنت المفوضية الأوروبية أن الهدف من اطلاق عملية برشلونة هو ايجاد مساحة متعددة الأطراف تتوسط من خلالها أوروبا في تطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين دول البحر المتوسط جميعها دون استثناء. وفي القلب من هذه المبادرة أتت أسبانيا ومدينة برشلونة تحديدا كرمز للهوية المشتركة؛ الانتماء الى البحر المتوسط

[1] Cordoba Hernandez, op. cit. p. 304

[2] Alonso, op. cit. p.160

[3] Barcelona Declaration and Barcelona Process, http://europa.eu/legislation_summaries/external_relations/relations_with_third_countries/mediterranean_partner_countries/r15001_en.htm, accessed 11/9/2019

وهي الصيغة التي ستجمع الأوروبيين مع العرب والأتراك وكذلك الإسرائيليين في جهود تنموية سلمية متعددة الأطراف.[١]

الانتفاضة الفلسطينية الثانية (انتفاضة الأقصى) وانهيارعملية السلام (٢٠٠٠-٢٠١٠)

أدت الزيارة الاستفزازية لأرئيل شارون والاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على المسجد الأقصى بهدف هدمه والاضرار بمبانيه ذات القيمة الإنسانية والدينية والثقافية العظيمة الى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية والمعروفة دوليا وإعلاميا باسم انتفاضة الأقصى. واجتاحت اسرائيل أراض فلسطينية كانت قد سلمت ادارتها -كليا أو جزئيا- الى السلطة الوطنية الفلسطينية بمقتضى اتفاق أوسلو[٢] وتوسعت في عمليات الاعتقال والقتل والعنف ضد الشعب الفلسطيني مما أكد للعالم أجمع أن الحلم الذي بدا على وشك التحقق في مطلع التسعينيات ما هو الا محض خيال وأن الأرض المقدسة بفلسطين عادت لتتشرب بالدماء بعد ان أصبح حلم السلام الشامل والعادل سرابا لن يتحقق.

ورغم اندلاع الانتفاضة الثانية وتعاقب الحكومات المتشددة في اسرائيل، استمرت عدة مشروعات للتعاون متعدد الأطراف بين شركاء عملية برشلونة. وتوسطت أسبانيا ودول أوروبية عدة في تنظيم وتنفيذ اتفاقات تجارية وثقافية جمعت بين اسرائيل والسلطة الفلسطينية وأحيانا مع دول عربية اخرى مثل مصر والأردن والمغرب وتونس وذلك من خلال المزايا الاقتصادية والاعفاءات الجمركية ودعم منظمات المجتمع المدني وغيرها من المشروعات المبنية على المحاور الثلاث لعملية برشلونة على أمل أن تعود عملية السلام الى الحياة وأن يكتمل مشروع السلام والعادل في الشرق الأوسط يوما ما.[٣]

إلا ان العديد من دول العالم ومنها أسبانيا قررت ألا تتخلى عن الشعب الفلسطيني وسلطته الوليدة محدودة الامكانات. لذا قامت أسبانيا بتقديم الدعم

[1] Caroline Du Plessix, The European Union and Israel, Bulletin du Centre de recherche Français à Jérusalem, 25 Mars 2012

[٢] تضمن اتفاق أوسلو بمرحلتيه (١٩٩٣-١٩٩٥) تقسيم الضفة الغربية الى ثلاثة قطاعات أولها (أ) وهي المناطق الخاضعة بالكامل إداريا وأمنيا لسيطرة السلطة الفلسطينية؛ ثم (باء) وهي المناطق الخاضعة للتنسيق الثنائي حيث تديرها السلطة الفلسطينية بينما يتولاها الإسرائيليون أمنيا وعسكريا، وأخير القطاع (ج) وهي المناطق الخاضعة بالكامل وحصريا للإدارة الإسرائيلية.

[3] Du Plessix, Ibid

المادي والفني والتقني للشعب الفلسطيني وسلطته الوطنية في مجالات تنموية عدة متجاهلة الاعتراض والتضييق الإسرائيلي والذي ركز على اتهام السلطة الفلسطينية بدعم ما أسماه بالارهاب وبالتالي حاولت الحكومة الإسرائيلية عرقلة الجهود الدولية لدعم وتوطيد السلطة الفلسطينية واتهام الهيئات المانحة بأنها تدعم الإرهاب كلما أرسلت مساعدات او معونات للسلطة الفلسطينية أو الشعب الفلسطيني. حيث تزعم اسرائيل دائما أن المساعدات الدولية التي تتلقاها السلطة إنما توجه لدعم المقاتلين الفلسطينيين وأسرهم وهو ما يشجعهم على الإضرار بأمن اسرائيل.

ودعمت أسبانيا العديد من المشروعات التنموية في فلسطين ومن أشهرها مشروع اعادة اعمار ودعم منطقة سبسطية[١] والذي بدأ في عام ١٩٩٩ وأعلن الانتهاء منه في أبريل ٢٠٠٣. حيث تعاونت الحكومة الأسبانية ممثلة في الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي مع مكتب الأمم المتحدة الانمائي في الأراضي الفلسطينية للقيام بمشروعات شملت مدينة سبسطية التاريخية ذات الآثار الرومانية الهامة بالاضافة الى سبع قرى محيطة بها. وقدمت أسبانيا دعما ماليا تجاوز المليون دولار لدعم عشرين قرية بشمال غرب الضفة الغربية. وشمل مشروع سبسطية اعادة اعمار المدينة وتوسعة ورصف الطريق الذي يربطها ببلدة الناقورة بالاضافة الى تأسيس عيادة طبية شاملة لخدمة أهالي المنطقة وترميم المسرح الروماني الأثري بها.[٢]

وقبل أيام من انعقاد الانتخابات الفلسطينية وفي يناير ٢٠٠٦ صرح رئيس الوزراء الأسباني أن بلاده ستعيد النظر في موقفها من الإسلاميين الفلسطينيين وخاصة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" التي عليها بدورها أن تثبت حسن النوايا بأن تقبل حكم صناديق الاقتراع وأن تجد طريقة سلمية للعمل مع شركائها

[١] مدينة فلسطينية تاريخية تقع على بعد ١٢ كيلومتر تقريبا شمال غرب مدينة نابلس. وتضم سبسطية معالم عدة أثرية وتاريخية ويطلق عليها المؤرخون اسم عاصمة الرومان في فلسطين. أهم آثارها القديمة مقبرة رومانية فخمة يعتقد أنها لأحد ملوك أو كبار رجال الدولة الرومان بالإضافة الى جامع النبي يحيى ويكثر بها مزارع الزيتون والفاكهة وتعد ضمن أهم المواقع التاريخية والأثرية بالضفة الغربية. (موقع وزارة السياحة والآثار الفلسطينية http://www.travelpalestine.ps/article/47/%D8%B3%D8%A8%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D8%A9)

[2] Spain funds rehabilitation of West Bank town – UNDP press release, 15/4/2003, https://www.un.org/unispal/document/auto-insert-205869/ , accessed 30/8/2019

من حركة "فتح" وعناصر منظمة التحرير الفلسطينية. كانت أسبانيا تراهن على فوز "فتح" مع هامش فوز مقبول للإسلاميين إلا أن النتائج أتت عكس ما توقع الأوروبيون والمجتمع الدولي الذي وجد أن السلطة الفلسطينية -المبنية على اتفاقات أوسلو والاعتراف باسرائيل - قد وقع قسما كبيرا منها الآن بأيدي حركة "حماس" التي ترفض الاعتراف باسرائيل ولا تلتزم ببنود أوسلو.[1] ووجدت الحكومة الأسبانية نفسها في المأزق ذاته مثل جميع الدول الأوروبية فالانتخابات بشهادة الجميع كانت حرة ونزيهة وأجريت بمنتهى الشفافية إلا أنها أتت الى الحكم بحركة حماس والتي تندرج تحت قائمة الحركات الإرهابية بالتعريف الأمريكي والأوروبي. لذا سارع رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب في البرلمان الأسباني الى تأكيد دعم أسبانيا لحرية الشعب الفلسطيني وحقه المشروع في تأسيس دولته المستقلة على أن يلتزم ممثلوه المنتخبون -من كل الفصائل- بقواعد الدبلوماسية والحل التفاوضي مع دولة اسرائيل لاستكمال عملية السلام.[2] وفي غضون أشهر قليلة، أصبح الانقسام الفلسطيني مبررا لمزيد من التعنت الإسرائيلي والتقاعس الدولي عن المضي قدما في طريق التسوية السلمية العادلة. وأدى انقلاب حماس في غزة وخروجها على السلطة الفلسطينية إلى مزيد من الاعتقاد بأن الحل في الشرق الأوسط ليس بالقريب خاصة مع ما صاحب ذلك الانقسام والنزاع على السلطة من أحداث عنف متبادل بين الفصائل الفلسطينية.

واقترح الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي عام ٢٠٠٧ اعادة اطلاق عملية برشلونة من خلال منظمة جديدة أسماها "الاتحاد من أجل المتوسط" على أن تتضمن المبادرة الأورومتوسطية الجديدة بنودا تتواكب مع التحديات الجديدة في المنطقة ومنها الهجرة غير الشرعية والارهاب. كما أن المبادرة الجديدة بحسب الرؤية الفرنسية كانت قائمة على تحديد مشروعات بعينها وليس محاور مفتوحة أو مطاطة للتعاون بين الشمال والجنوب في مجالات أهمها الاقتصاد والبيئة والصحة وقضايا الهجرة والثقافة. وتمكن ساركوزي من جمع فرقاء اقليم البحر المتوسط بما فيهم اسرائيل والسلطة الفلسطينية والدول العربية وأعضاء الاتحاد الأوروبي في قمة باريس التي انعقدت في ١٣ يوليو ٢٠٠٨ بالعاصمة الفرنسية حيث قاد المباحثات الرئيس الفرنسي ساركوزي ممثلا شمال البحر المتوسط

[1] Alvariño, I. España ante el Gobierno de Hamas, Revista CIDOB d'Afres Internacionals, La política árabe y mediterránea de España, No 79-80, December 2007, P190

[2] Alvariño, Ibid, p191

والرئيس المصري مبارك ممثلا لدول الجنوب. وتقدمت أسبانيا بكل قوة معلنة دعمها الكامل للمشروع ورغبتها في استضافة سكرتارية الاتحاد في برشلونة التي اتفق الجميع على اعتبارها أيقونة التعاون الأورومتوسطي والرمز الدائم لهوية تجمع شعوب الاقليم على أمل ايجاد صيغة للتعاون الإقليمي ومن ثم استعادة الثقة وبدء مفاوضات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين بعد أعوام طوال من الجمود والإحباط.[١]

وقبل أن يجف الحبر الذي وقعت به على اعلان الاتحاد من اجل المتوسط، بدأت اسرائيل اعتداءها الوحشي على قطاع غزة في ٢٧ ديسمبر عام ٢٠٠٨ في العملية العسكرية الضخمة المسماة الرصاص المصبوب Operation Cast Lead وأعلنت أن أهدافها من العملية تتمثل في ايقاف سيل الصواريخ المنهمر على مواطنيها من قطاع غزة، كسر شوكة حركة حماس وتحجيم قواتها العسكرية بالإضافة الى استعادة الجندي الإسرائيلي الأسير لدى حماس جلعاد شاليط. ولم تدخر اسرائيل جهدا في استخدام أسلحة محرمة دوليا وتكثيف الاعتداءات على المدنيين الفلسطنيين ودك المنازل والمساجد في قطاع غزة في هجوم استمر قرابة شهر متواصل حتى اعلان وقف اطلاق النار من جانب اسرائيل بعد أن دمرت البنية التحتية في غزة بالكامل واستشهد بفعل القصف الجوي والاجتياح البري ١٤١٧ مواطن فلسطيني -بحسب تقرير فرع وزارة الصحة الفلسطينية في غزة- بالإضافة الى آلاف المصابين والمشردين.[٢]

وترتب على هذا الاعتداء الوحشي استياء كبير في أوروبا قاطبة وليس أسبانيا وحدها تجاه اسرائيل. وقام الاتحاد الأوروبي بتجميد عدد من الاتفاقات الأولية التي كانت قد وقعت مع اسرائيل في مجالات اقتصادية وعسكرية وثقافية في مايو ٢٠٠٨ وكان من المتوقع المصادقة عليها من قبل البرلمان الاوروبي

[1] Joint Declaration of the Paris Summit for the Mediterranean Paris, 13 July2008, https://ec.europa.eu/research/iscp/pdf/policy/paris_declaration.pdf , accessed 20/12/2019

[2] Alvise Vianello, A Missed opportunity: The Goldstone Report on Gaza and its consequences in Israel, Notes Internacionales, CIDOB, Barcelona Center for International Affairs, CIDOB Fundacion, March 13th, 2010

والبرلمانات الخاصة بالدول الأعضاء في الاتحاد. إلا أن قرارا بأغلبية كبرى اتخذ لتجميد هذه الاتفاقات عقابا لإسرائيل على اعتدائها على غزة.[١]

وكلف الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون القاضي ريتشارج جولدستون بتشكيل لجنة تقصي حقائق للوقوف على مدى صحة الاتهامات المتبادلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين بشأن ارتكاب جرائم حرب خلال الاعتداء على غزة الذي استمر اكثر من شهر كامل. وتعرض التقرير لانتقادات كبرى من جانب اسرائيل نظرا لاتهامه إياها بارتكاب جرائم حرب وقتل جماعي، كما لاقى أيضا انتقادا عربيا حادا لالقائه اللوم على حركة حماس بسبب استخدامها لصواريخ القسام والتي تسببت في خسائر بشرية ومادية محدودة في اسرائيل. وأشار تقرير جولدستون الى تضييق الحكومة الإسرائيلية على منظمات المجتمع المدني التي تفضح الانتهاكات الإسرائيلية بحق الفلسطنيين. و ذكر التقرير صراحة التضييق على منظمة "كسر الصمت "Breaking the Silence والتي كان لها دور كبير في ادانة الجيش الإسرائيلي وتصوير ونشر انتهاكات القوات الإسرائيلية في غزة والتي حظيت بمصداقية كبيرة كونها منظمة اسرائيلية يقوم عليها ناشطون حقوقيون اسرائيليون. وأورد التقرير أن الحكومة الإسرائيلية خاطبت نظيرتها الأسبانية رسميا لتطلب وقف التبرعات والدعم الحكومي أو الشعبي الذي تقدمه أسبانيا لهذه المنظمة والذي ساعدها على الاستمرار في كشف انتهاكات الحكومة الإسرائيلية في الأراضي المحتلة. حيث اعترضت اسرائيل رسميا على المعونات المالية والتقنية التي تلقتها المنظمة الحقوقية من الخارجية الأسبانية وكذلك بعض المؤسسات الأهلية الصحفية الأسبانية وهو الأمر الذي لم تنكره أسبانيا ودافعت عنه باعتباره نشاطا داعما لحرية التعبير وتداول المعلومات يتفق مع المواثيق والأعراف الدولية والأوروبية.[٢]

وسارعت أسبانيا كذلك الى دعم منظمة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين الأونروا UNRWA وبدأت على الفور بشحن أكثر من عشرين طنا من المواد الغذائية والأغطية والادوية الى قطاع غزة وقبل وقف اطلاق النار من الجانب الإسرائيلي. وسارع رئيس الوزراء الأسباني ثاباتيرو في الثامن من يناير عام

[1] Du Plessix, op. cit

[2] Human Rights In Palestine and Other Occupied Arab Territories, Report of the United Nations Fact-Finding Mission on the Gaza Conflict, (Goldstone Report), A/HRC/12/48, 25 September 2009, P357

٢٠٠٩ الى اعلان تبرع بلاده بخمسة ملايين يورو الى المنظمة تلبية لنداء الأخيرة للمجتمع الدولي للإسراع بدعم أهالي غزة المحاصرين تحت القصف والاجتياح الإسرائيلي. وأصدرت منظمة الأونروا بيانا في السادس عشر من يناير ٢٠٠٩ تشكر فيه الحكومة المركزية الأسبانية وكذلك حكومات الأقاليم الأسبانية التي فاقت تبرعاتها منذ اندلاع الانتفاضة الثانية ٨٠ مليون دولار قدموا نقدا للأونروا لدعم اللاجئين الفلسطينيين بالإضافة الى المساعدات العينية والبرامج الثقافية والترفيهية والمنح الدراسية بالإضافة الى دفع أسبانيا مرتبات لأربعة موظفين أسبان خصصتهم لخدمة اللاجئين الفلسطينيين من خلال مكاتب المنظمة.[1]

إلا أن المسئولين الأسبان غالبا ما يتراجعون عن نقد اسرائيل خوفا من اتهامهم بمعاداة السامية، وهي الوصمة الجاهزة التي تستخدمها اسرائيل ضد كل من ينتقد سياساتها العنيفة والاستعمارية ضد الشعب الفلسطيني. وحتى في أعقاب الاعتداءات الإسرائيلية المفجعة والبربرية على الفلسطينيين في قطاع غزة وصدور تقرير جولد ستون الذي وجه الاتهام الى الجيش الإسرائيلي- وكلك الى حركة حماس- بالضلوع في ارتكاب جرائم حرب، حرص المسئولون الأسبان على عدم اثارة غضب اسرائيل برغم الإدانة الدولية والعالمية لها على اثر هجومها المذكور على غزة. فعلى سبيل المثال وخلال زيارته الرسمية الأولى الى إسرائيل في أكتوبر ٢٠٠٩عقب صدور تقرير جولدستون المشار إليه بأسابيع قليلة، سارع رئيس الوزراء الأسباني –آنذاك- ثباتيرو بالإدلاء بتصريحات الى الصحف الإسرائيلية استهلها بقوله أننا – أسبانيا واسرائيل- أصدقاء وأن النقد الذي توجهه أسبانيا الى اسرائيل أحيانا فما هو إلا أمر يحدث بين الأصدقاء مؤكدا أنه يزور اسرائيل بهدف فتح صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين. ورغم أن رئيس الوزراء الأسباني قد حاول في هذه الزيارة كسب ود الجانب الإسرائيلي، الا أن الصحافة الإسرائيلية وخاصة جريدة "معاريف" قابلته بهجوم شديد وواجهته بتقرير أجراه "اتحاد مكافحة التمييز"و أشار الى ارتفاع معدل معاداة السامية بين الشعب الأسباني، حيث أورد استطلاع الرأي المذكور أن ثلاثة من كل أربعة أسبان يرون أن اليهود نفوذهم متزايد في مجالات الاستثمارات المالية في أسبانيا كما أن ثلثي عينة الاستطلاع شككت في

[1] Spain contributes EUR 5 million for UNRWA'S Gaza Flash Appeal, UNRWA, 16/1/2009, https://www.unrwa.org/newsroom/press-releases/spain-contributes-eur-5-million-unrwa%E2%80%99s-gaza-flash-appeal , accessed 12/10/2019

ولاء اليهود لدولة أسبانيا. وأمام هذا الهجوم سارع رئيس الوزراء الأسباني بالدفاع عن نفسه كما لو كان استطلاع الرأي قد أجري عنه هو شخصيا؛ مؤكدا لصحفيي معاريف أنه لامكان لمعاداة السامية في أسبانيا اليوم وأن معاداة اليهود كانت فقط في أيام الديكتاتورية إبان حكم فرانسيسكو فرانكو مدللا على ذلك بأنه لم تسجل في أسبانيا أية حوادث اعتداء على اليهود في العقود الأخيرة؛ لذا – بحسب ثاباتيرو- فهو يرفض اتهام الأسبان بمعاداة السامية.[١]

وفي سبتمبر ٢٠١٠ اتخذت الحكومة الأسبانية قرارا تاريخيا برفع درجة التمثيل الدبلوماسي الفلسطيني الى درجة سفارة كاملة وتغيير مسمى رئيس البعثة الدبلوماسية الفلسطينية الى مسمى سفير وهو ما عد خطوة هامة في سبيل الاعتراف بدولة فلسطين المستقلة حال إعلانها. وأصدرت وزارة الخارجية الأسبانية بيانا تاريخيا أعلنت فيه تضامنها المستمر والكامل مع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وبما يحقق حل الدولتين الذي يضمنه المجتمع الدولي، حيث أن رفع درجة التمثيل الدبلوماسي الفلسطيني التدريجي الذي اتبعته أسبانيا يتسق مع قرارات الرباعية الدولية وقرارات مجلس الامن ومبادرة السلام العربية. وأكدت الدولة الأسبانية على دعمها الكامل لاستمرار طريق التفاوض من أجل حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه الكاملة ودولته المستقلة مع التزامها بتعهداتها في دعم وبناء السلطة الوطنية الفلسطينية. [٢]

معركة الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة بين الأمم المتحدة واليونسكو

عزمت السلطة الوطنية الفلسطينية منذ عام ٢٠١٠ على حشد التأييد الدولي والدبلوماسي للعضوية الكاملة لفلسطين بالأمم المتحدة والاعتراف بدولة فلسطين المستقلة فيما عرف اعلاميا بحملة (فلسطين ١٩٤) بعد انهيار عملية السلام خاصة في أعقاب الهجوم الوحشي والمتكرر على قطاع غزة بدءا من نهاية عام

[1] Zapatero a un diario Israelí: 'Antisemitismo había con Franco' , El Mundo, 15/10/2009, https://www.elmundo.es/elmundo/2009/10/15/espana/1255597824.html , accessed 14/5/2019

[2] Elevatińg del Estatuto de La Represenatación Palestina En Madrid, 10/9/2010, https://web.archive.org/web/20100922155218/http://www.maec.es/es/MenuPpal/Actualidad/Comunicados/Paginas/68comunicado20100908.aspx , accessed 23/4/2019

٢٠٠٨ وبالتالي انعدام احتمال اعلان الدولة الفلسطينية المستقلة بموافقة اسرائيل أو في أعقاب التفاوض معها. وتحظر لائحة العضوية بالأمم المتحدة قبول أي دولة كعضو كامل جديد بدون موافقة مجلس الأمن؛ وهو الامر المعرقل للحلم الفلسطيني في ظل تمسك الولايات المتحدة برفض المشروع وهي دولة تملك حق النقض/الاعتراض (الفيتو) في مجلس الأمن مما يعني استحالة قبول عضوية فلسطين بالمنظمة. وعملت الإدارة الفلسطينية على محاولة حشد التأييد الدولي لهذه الخطوة الأحادية بصورة رمزية وللضغط دبلوماسيا وأخلاقيا على الولايات المتحدة لتأطير موقف تلك الأخيرة في أسبابه الحقيقية المتمثلة في الانحياز الأعمى لإسرائيل وليس الادعاء الأمريكي بضرورة التوافق الفلسطيني الإسرائيلي على أية وكل خطوة تتخذ من أجل حل الصراع المعقد في الشرق الأوسط.

وبدأ الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) جولات عالمية شرقا وغربا أملا في تأييد دول العالم للطلب الفلسطيني باعلان الدولة المستقلة، وكانت مدريد على رأس العواصم الأوروبية التي توجه لها أبومازن واثقا من نجاح مسعاه وتأييد أسبانيا لمشروع عضوية فلسطين الكاملة في الامم المتحدة.

قدم الرئيس الفلسطيني محمود عباس أبو مازن طلب الاعتراف بدولة فلسطين الى الأمم المتحدة بالفعل في سبتمبر ٢٠١١ إلا أن الولايات المتحدة أعلنت أنها ستستخدم حق النقض (الفيتو) وستمنع مجلس الأمن من قبول عضوية فلسطين كدولة مستقلة بالأمم المتحدة. مما أدى بالجانب الفلسطيني الى تعديل الطلب والقبول بعضوية بصفة مراقب في الجمعية العامة للأمم المتحدة على أمل تقديم الاقتراح مرة أخرى في ظروف إقليمية ودولية قد تؤدي الى قبول عضوية فلسطين الكاملة في المنظمة. وفي يوم التاسع والعشرين من نوفمبر ٢٠١٢[١] صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإيجاب على منح فلسطين صفة (عضو مراقب) وهو ما يتيح لها عضوية المنظمات والوكالات الأممية المختلفة ومنها اليونسكو والمحكمة الجنائية الدولية. وكانت أسبانيا على رأس الدول الأوروبية التي صوتت بالإيجاب على القرار وشاركت في حملة الدعم الأوروبية والدولية للفلسطينيين سواء دبلوماسيا إو إعلاميا.

[١] يحتفل بالتاسع والعشرين من نوفمبر من كل عام باعتباره اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني حيث شهد هذا اليوم عام ١٩٤٧ اعتراف الامم المتحدة بدولة اسرائيل ومنح الاخيرة صفة دولة عضو بالأمم المتحدة

وفي كلمتها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في نهاية سبتمبر عام ٢٠١١، أعلنت وزيرة الخارجية الأسبانية ترينداد خيمينيث Trinidad Jiménez أن العام الحالي، آنذاك، يشهد تغيرات غير مسبوقة في العالم العربي ومحاولة الشعوب العربية تحقيق آمالها وأحلامها لذا فعلى المجتمع الدولي أن يعمل من خلال المفاوضات والحلول الدبلوماسية على تمكين الشعب الفلسطيني من إعلان دولته وذلك دون إرجاء أو تأخير.وهي التصريحات التي أدت إلى ثورة عارمة في الأوساط السياسية والدبلوماسية الإسرائيلية والتي اتهمت أسبانيا بأنها تشجع الفلسطينيين على اتخاذ خطوات أحادية الجانب وأن أسبانيا ليست على مسافة واحدة من كافة اطراف الصراع في الشرق الأوسط.[1]

إلا ان عام ٢٠١١ لم يمر دون أن يتحقق انتصارا دبلوماسيا وسياسيا غير مسبوق للقضية الفلسطينية تمثل في ضم دولة فلسطين كعضو كامل لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو. كانت الولايات المتحدة الامريكية بقيادة باراك أوباما قد هددت بوقف التمويل الأمريكي الذي تدفع بموجبه الولايات المتحدة خمسين مليون دولار سنويا للمنظمة في حال قبل مؤتمرها العام طلب فلسطين العضوية الكاملة. ورغم التهديدات الأمريكية، اتخذ المؤتمر العام لليونسكو قراره التاريخي بقبول فلسطين دولة عضو في المنظمة وذلك عقب جلسة تاريخية حيث صوتت ١٠٧ دولة لصالح القرار ومنهم أسبانيا وفرنسا وروسيا والصين وكذلك الدول العربية وقامت الدول المذكورة ومنها أسبانيا بممارسة ضغوط وحشد دبلوماسي واسع ومكثف للتصويت بنعم على القرار. وفي المقابل رفضت ١٤ دولة عضوية فلسطين الكاملة في اليونسكو وعلى رأسها كل من الولايات المتحدة واسرائيل بينما امتنعت ٥٢ دولة عن التصويت من ضمنها المملكة المتحدة. وسارعت الولايات المتحدة عقب الجلسة الى تنفيذ تهديداتها ومن ثم تجميد ووقف المخصصات المالية لليونسكو والتي تقدر بنحو ٢٢ بالمائة من إجمالي ميزانية المنظمة الاممية التي تهتم بقضايا التعليم والعلوم والثقافة والتراث الحضاري في العالم أجمع، وأتى ذلك كاجراء عقابي ردا على قبول فلسطين كعضو كامل بالمنظمة حيث تعلل الجانب الأمريكي برفضه لأي اجراء أحادي الجانب تقوم به السلطة الفلسطينية دون موافقة اسرائيل وهو المبرر الذي قوبل بالاستهجان خاصة بعد وقف الدعم المالي الأمريكي لليونسكو.

[1] Israel fumes over foreign minister's Palestine position Trinidad Jiménez told EL PAÍS that EU now has "level of maturity" to recognize two states, El Pais 22/8/2011, accessed 11/11/2019

خـــاتـــــمـــــــة

تشهد العلاقات الأسبانية الإسرائيلية المضطربة والمعقدة بمدى مركزية وأهمية الصراع العربي الإسرائيلي على رؤية العالم وخاصة أوروبا لمنطقة الشرق الأوسط. ويتضح من خلال المنحنيات المتضاربة التي مرت بها العلاقات الثنائية بين البلدين مدى تأثير الوضع المعقد لصراع الشرق الأوسط على آلية اتخاذ القرار السياسي والاقتصادي سواء محليا في الدول الأوروبية ومنها أسبانيا، أو على المستوى الإقليمي وكيفية اتخاذ القرار الأوروبي الجماعي على مدار عقود من تطور المؤسسات الأوروبية الوحدوية ومنها السوق الأوروبية المشتركة ووريثها الاتحاد الأوروبي.

كما يتضح أيضا أن الدعاية السياسية الاسرائيلية الصهيونية القائمة على توجيه تهمة معاداة السامية وكراهية اليهود تلعب دورا هاما في صياغة قرارات التعاون مع الشرق الأوسط في العالم الغربي. فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية التي لا ينكر أحد أنها شهدت اغتيال وتعذيب وتشريد ملايين اليهود، عملت اسرائيل على استخدام المحارق النازية كورقة ضغط وتهديد ضد كل من تسول له نفسه معاداتها أو الاعتراض على سياساتها أو حتى ابداء التعاطف مع الحقوق الفلسطينية والعربية. وأصبحت جريمة النازية في حق اليهود ورقة رابحة لا تمل اسرائيل من التلويح بها في وجه أي دولة او مسئول أو حكومة تدين اعتداءها على الفلسطينيين وجيرانها العرب بشكل عام.

ونجد كذلك أن القضايا الاقتصادية تمثل عاملا فارقا في آليات اتخاذ قرارات السياسة الخارجية الأسبانية، حيث يظهر بقوة سعر النفط الخام وسعر استيراده الى أسبانيا التي تفتقر افتقارا شديدا الى الوقود الحفري كمحرك للأحداث في أحيان كثيرة. فنجد أن قلق أسبانيا من قطع امدادات النفط الخام العربي عنها مما سيتسبب في شلل كامل للمنازل والمصانع ووسائل النقل قد جعلها حريصة في أوقات كثيرة على عدم الاقتراب من اسرائيل أو تطبيع العلاقات معها. بينما أتى الضغط الاقتصادي المعاكس من جهة أوروبا متمثلا في رغبة أسبانيا الانضمام الى السوق الأوروبية المشتركة واللحاق بركب الجماعة الأوروبية وتصدير فائض الانتاج الزراعي والصناعي إلى جيرانها الأوروبيين، مما جعل أسبانيا تتقارب مع الجانب الاسرائيلي رغبة منها في تقديم نفسها بصورة دولة حديثة ديمقراطية مثلها مثل دول غرب أوروبا المنفتحة على العالم وأن تنفض عنها الفكاهة الأوروبية التي كانت تردد أن حدود أوروبا تنتهي عند جبال البرانس وأن أسبانيا ليست أكثر من امتداد لدول الشمال الأفريقي ومن قبيل الصدفة فقط أ نها تقع جغرافيا في أوروبا.

ان التذبذب في المواقف الأسبانية تجاه دعم حقوق الشعب الفلسطيني تشير بوضوح الى غلبة البراجماتية والواقعية في صياغة قرارات السياسة الخارجية، فالمتابع لتطورات وآليات صنع القرار في أسبانيا سيدرك عمق تأثير المصالح الأسبانية السياسية والاقتصادية على قرارات السياسة الخارجية التي بلا شك تتخذ بناء على حسابات متعددة العوامل حتى وان ادعى أحد أو جميع الأطراف أن العوامل الأخلاقية أو الإنسانية تلعب دورا لدى صانع القرار. كما استعرض البحث أيضا سيطرة الدول الكبرى ورؤاها على المنظمات الدولية والإقليمية بشكل ينتفي معه الغرض المعلن من هذه التجمعات والمنظمات والتي تزعم أنها تهدف الى رأب الصدع السياسي واعتماد الحوار والدبلوماسية بديلا عن آليات الضغط والاتفاقات السرية. والحقيقة أن شبكات المصالح وأولويات الاقتصاد والانتاج والاستهلاك بحسب هذه القوى الكبري هي المحدد الرئيس لدعم أو عرقلة الشعوب عن تحقيق أحلامها القانونية والمشروعة.

بيبليوجرافيا البحث

أولا: المصادر

- قرار مجلس الأمن رقم ٤ الصادر في ٢٩ أبريل ١٩٤٦ (جلسة لمناقشة المسألة الأسبانية The Spanish Question) والقاضي برفض عضوية أسبانيا بالأمم المتحدة عقابا لها على تعاونها مع نظامي هتلر وموسوليني أثناء الحرب العالمية الثانية. نص القرار على موقع الأمم المتحدة الرسمي

The Spanish Question, UN Security Council resolution no.4 issued on 29/4/1946, https://undocs.org/S/RES/4(1946), accessed 26/12/2019

- اعلان فينيسيا يونيو ١٩٨٠ (نص الإعلان)

The Venice declaration (text of Declaration), The Palestine Israel Journal of politics, Economics and culture, Towards Statehood, Vol.6 No.2 1999

- ملحق من اصدار وزارة الخارجية الأسبانية في يوليو عام ٢٠٠٧ بعنوان "اسرائيل" متاح على الموقع الرسمي للوزارة في https://web.archive.org/web/20100106165728/http://ww

w.maec.es/SiteCollectionDocuments/Monografias/Israel.pdf

- قرار الخارجية الأسبانية برفع درجة التمثيل الدبلوماسي الفلسطيني الى درجة سفارة والصادر في سبتمبر ٢٠١٠

Elevación del Estatuto de La Represenatación Palestina En Madrid, 10/9/2010, https://web.archive.org/web/20100922155218/http://www.maec.es/es/MenuPpal/Actualidad/Comunicados/Paginas/68comunicado20100908.aspx

- وثيقة اعلان برشلونة ١٩٩٤ وبدء عملية برشلونة للتعاون الأورومتوسطي في نوفمبر ١٩٩٥ على موقع المفوضية الأوروبية

Barcelona Declaration and Barcelona Process, http://europa.eu/legislation_summaries/external_relations/relations_with_third_countries/mediterranean_partner_countries/r15001_en.htm

- تقرير لجنة تقصي الحقائق الأممية الخاصة بحقوق الانسان في الأراضي الفلسطينية والأراضي العربية المحتلة عقب الاعتداء الإسرائيلي على غزة (المعروف باسم تقرير جولدستون) والصادر في سبتمبر ٢٠٠٩

Human Rights in Palestine and Other Occupied Arab Territories Report of the United Nations Fact-Finding Mission on the Gaza Conflict, (Goldstone Report), A/HRC/12/48, 25 September 2009

- البيان الرسمي الصادر عن قمة باريس ١٣ يوليو ٢٠٠٨

Joint Declaration of the Paris Summit for the Mediterranean Paris, 13 July 2008, https://ec.europa.eu/research/iscp/pdf/policy/paris_declaration.pdf ،

بيان صحفي بشأن المساهمات الأسبانية في اعادة اعمار قرى الضفة الغربية-

Spain funds rehabilitation of West Bank town – UNDP press release, 15 April 2003

- اعلان قمة باريس يوليو ٢٠٠٨ بشأن تأسيس الاتحاد من أجل المتوسط

https://ufmsecretariat.org/who-we-are/history/ accessed 13/10/2019

https://ufmsecretariat.org/wp-content/uploads/2015/10/ufm_paris_declaration1.pdf 13/10/2019

ثانيا: المراجع

Abadi, Jacob. "*The road to Israeli-Spanish rapprochement"* in Efraim Karsh (Ed.) Israel the first hundred years Vol 4 (Israel in the International Arena), Frank Cass Publishing, London, 2004

Alonso, Carmen. "*La Evolución De La Opinión Española Con Relaciónes a Israel, El Antisemitismo Y El Conflicto Árabeisraelo-Palestino"*, In Raanan Rein (Ed) Israel-España: Veinte Años, Sevilla: Tres Culturas, 2007

Livingstone, Neil C. and Halevy, David H. "*Inside the PLO: Covert units, secret funds and the war against Israel and the United States"*, William Morrow and company, New York, 1990

Miller, Rory. "*The PLO Factor in Euro-Israeli Relations 1964-1992"* in Efraim Karsh (Ed.) Israel the first hundred years Vol 4 (Israel in the International Arena), Frank Cass Publishing, London, 2004

Olan, Gena. *"Franco's Spain and the Jewish Rescue Effort During World War Two"*, Unpublished PhD Thesis, Duke University, 2013

Payne, Stanley G. "*Franco and Hitler: Spain, Germany, and World War II"*, Yale University Press, 2008

Soliman, Amany. The Spanish military and democratic transition (1975-1982) in Soliman, Amany and Coskun, Gulcin (Ed.) "*Guardians or oppressors: Civil military relations and democratization in the Mediterranean region"*, Cambridge Scholars publishing, London, 2015

ثالثا: الدوريات

Alvariño, Ignacio Álvarez-Ossorio *España ante el Gobierno de Hamas*, Revista CIDOB d'Afres Internacionals, La política árabe y mediterránea de España, CIDOB Fundacion, No 79-80, December 2007

Aylloun, Laura Lopez Entrivesta con el ex-ambajador de Israel en Espana Herzl Inbar, Hesperia Culturales Del Mediterraneo, Vol 2, 2007, pp: 169-174

Barrio, Antonio Marouina. *La Normalizacion de Relaciones Diplomaticas Entre Espana E Israel,* Revista de Estudios Internacionales, Vol 7. Núm. 4. Octubre-diciembre 1986, PP :1133-1143

Berdichevsky, Norman. *Spain and Israel - A Tale of Many Turns*, New English Review, Feb 2009

Cordoba Hernandez, Ana Maria. *Espana, Israel Y Palestina: Pasado Y Presente De Sus Relaciones Diplomaticas,* Historia y Politica, no. 26, Madrid, July-December (2011), PP: 291-323

Du Plessix, Caroline.*The European Union and Israel*, Bulletin du Centre de recherche Français à Jérusalem, 25 Mars 2012

Israel's External Trade Relations, Journal of Palestine Studies, vol. 8, no. 1, 1978, pp. 140–147.

Rein, Ranan. *Diplomacy, Propaganda, and Humanitarian Gestures: Francoist Spain and Egyptian Jews, 1956-1968*, Iberoamerican, Vol 23, 2006, PP: 21-33

Vianello, Alvise. *A Missed opportunity: The Goldstone Report on Gaza and its consequences in Israel*, Notes Internacionales, CIDOB Fundacion, Barcelona Center for International Affairs, March 13th, 2010

الصحيفة الأسبانية El Mundo عدد ٢٠٠٩/١٠/١٥

الصحيفة الأسبانية El Pais (الصحيفة شبه الرسمية) الأعداد الصادرة في : ١٩٨٢/٩/٢٠ – ١٩٨٣/٢/٩ - ١٩٨٦/١/١٧- ١٩٨٦/١/٢٥- 13/9/1979 – 22/8/2011

صحيفة Christian Science Monitor عدد 13/9/1982